موسوعة العلوم

في علوم وطب النفس

إصدارات: مؤسسة العلوم النفسية العربية- 2026

عبد الرحمان ابراهيم

موسوعة الأعلام في علوم وطب النفس

المجلد الثاني

من "الشين" الى "الياء"

شارك في المراجعة

هبة الكردي
ليلى الصوافي
مقداس الصوافي
جوليا سليمان
أنس كيالي
صباح علي
وفاء حسن

أمل مصطفى محمود
فاطمة جمال زهير
نجود سلطان
زينب علي
هبة القطار
محمد عسكر

الإهـــــــــداء..

- الى والدىّ..
- الى زوجتى وأبنائى..
- الى كل من تتلمذت على يديه
- الى العلامة يحيى الرخاوى..
- الى الصديق النبيل جمال التركى..
- الى كل من أحبنى, وتحمل منى ما فىّ وما علىّ..

أقدم عملى هذا عربون محبة واعترافا بفضلهم جميعا علىّ بعد فضل الله

الفهـــــــــرس

بين يدي الموسوعة	10
أعـــــلام ... الشيـــــن	17
جان مارتان شاركو Jean martin Charcot	18
ستانلي شاشتر Stanley Schachter	20
دانيال شاكتر Daniel Schacter	24
وليام لويس شتيرن Wiliam Louis Stern	28
كارولين وود شريف Carolyn Sherif	31
آرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer	40
بول فرديناند شيلدر Paul Ferdinand Schilder	42
وليام شيلدون William Sheldon	44
ماكس شيلر Max Scheler	49
أعـــــلام ... الفـــــاء	50
تيودور فايتز (وايتز) Theodor Waitz	51
غوستافه تيودور فخنر Gustav Theodor Fechner	54
شيبارد آيفوري فرانز Shepard Ivory Franz	59
فيكتور إميل فرانكل Viktor Emil Frankl	61
فريدريك وليام أوغست فروبل Friedrich Wilhelm August Fröbel	67
إيريك فروم Erich Fromm	72

آنّا فرويد Anna Freud	76
سيغموند فرويد Sigmund Freud	84
كرستيان فولف Christian Wolf	116
فيلهلم فونت Wilhelm Wundt	118
إرنست هاينريش فيبر Ernst Heinrich Weber	122
ماكس فيرتايمر Max Wertheimer	125
بيير باولو فيرجيريو الأكبر Pier Paolo Vergerio the Elder	129
ساندور فيرينزي Sandor Ferenczi	131
ليون فيستينغرLeon Festinger	135
سوزان فيسك susan fiske	146
جوان لويس فيفيس Juan Luis Vives	155
فيتورينو رامبالدوني دا فيلتر Vittorino da Feltre	158

أعـــــلام ... الكـــــاف	160
دافيد كاتز (ديفيد كاتس) David Katz	161
جيمس مكين كاتل James McKeen Cattell	166
رايموند برنارد كاتل Raymond Cattell	172
فلافيوس كاسيودوروس Flavius Cassiodorus	184
كارل لودفيغ كالباوم Karl Ludvig Kahlbaum	187
جون كالفن John Calvin	190
دونالد توماس كامبل Donald T Campbell	197
دانيال كانمان Daniel Kahneman	201
والتر برادفورد كانن Walter Cannon	205
ريتشارد فون كرافت إيبنغ Ebing- Richard von Kraft	210
فليكس كروغر Felix Krueger	212

إميل كريبلين Emil Kraeplin	216
إرنست كريتشمر Ernst Kretschmer	221
إرنست كريس Ernst Kris	224
إدوار كلاباريد Edward Claparede	227
لودفيغ كلاجز Ludwig Klages	230
ميلاني كلاين Melanie Klein كلاين	232
إيمانويل كنت Immanuel Kant	235
كورت كوفكا Kurt Koffka	238
لورانس كولبرغ Lawrence Kohlberg	240
وزفالد كولبه Oswald Kulpe	249
فولفغانغ كولر Wolfgang Kohler	252
أوغست كومت Auguste Comte	255
جون أموس كومينيوس John Amos Comenius	258
إتيان بونو دي كوندياك Etienne Bonnot de Condillac	263
توماس كيركبرايد Thomas Kirkbride	266
هارولد كيلي Harold Kelley	271
ألفرد تشارلز كينزي Alfred Kinsey	277
أعـــلام ... الـــلام	287
كارل سبنسر لاشلي Karl Spencer Lashley	288
جوليان أوفراي دي لاميتري Julien Offray de La Mettrie	294
رودولف هيرمان لوتز Rudolph Hermann Lotze	299
مارتن لوثر Martin Luther	304
ألكسندر لوريا Alexander Romanovich Luria	313

جون لوك John Locke	324
سيزار لومبروزو Cesare Lombrosso	328
كورت ليفين Kurt Lewin	337

أعـــــلام ... الميـــــم	342
هربرت ماركوزه Herbert Marcuse	343
أبراهام ماسلو Abraham Maslow	347
ديفيد ماكليلاند David C McClelland	353
إليانور إيمونز ماكوبيEleanor Emmons Maccoby	358
ريتشارد مالكاستر Richard Mulcaster	368
برونسيلافه مالينوفسكي Bronslaw Malinowski	371
أدولف ماير Adolf Meyer	380
فريدريك مايرز Frederic Myers	388
ألكسيوس فون مينونغ Alexius von Meinong	397
فرانز أنطون مزمر Franz Anton Mesmer	404
وليام مكدوغال William McDougall	414
جيمس مل James Mill وجون ستيوارت مل John Stuart Mill	423
ربانوس موراس Rabanus Maurus	428
هنري ألكسندر موراي Henry Alexander Murray	430
لويد مورغان Lioyd Morgan	437
غاردنر مورفي Gardner Murphy	440
شوما موريتا Shoma Morita	450
بنديكت موريل Bénédict Morel	458
جورج الياس موللر George Elias Muller	463
يوحنا موللر Johannes Muller	469
ميشيل دي مونتاني Michel de Montaigne	474

ماريا مونتيسوري Maria Montessori	482
هوغو مونستربرغ Hugo Munsterberg	491
إيمانويل موني Emmanuel Mounier	496
سيلاس وير ميتشل Silas Weir Mitchell	499
جورج هيربرت ميد George Herbert Mead	504
مارغريت ميد Margaret Mead	510
خوان ميزيتش Juan Mezzich	516
فيليب ميلانكتون Philipp Melanchthon	519
جون ميلتون John Milton	523
أليس ميلر Alice Miller	531
ستانلي ميلغرام Stanley Milgram	535
بيتر م ميلنر Peter Milner	542
برينـدا ميلنير Brenda Milner	547

أعـــــلام ... النـــــون	552
فريدريك نيتشه Friedrich Nietzche	553
أولريك نيسر Ulric Neisser	558

أعـــــلام ... الهـــــاء	565
ديفيد هارتلي David Hartley	566
إدوارد فون هارتمن Eduard Von Hartmann	571
إدموند هُسرل Edmund Husserl	574
كلارك ليونارد هُل Clark Leonard Hull	580
توماس هوبز Thomas Hobbes	587
كارين هورني Karen Horney	593

غرانفيل ستانلي هول Granville Stanley Hall	604
إدوين هولت Edwin Holt	610
دونالد أولدينغ هيب Donald Olding Hebb	618
يوحنا فريدريك هيربارت Johann Friedrich Herbart	624
يوالد هيرينغ Euald Hering	631
جورج وليام فريديريك هيغل George Wilhelm Friedrich Hegel	634
إيوالد هيكر Ewald Hecker	642
هيرمان فون هيلمهولتز Hermann von Helmholtz	645
ديفيد هيوم David Hume	654

أعـــــلام ... الـــــواو	659
مارغريت واشبرن Margaret Washburn	660
جون بروداس واطسن John Broadus Watson	667
وليام ألانسون وايت William Alanson White	676
وبرت وودورث Robert Woodworth	680
جيمس وورد James Ward	685
يوحنا وير Johann Weyer	691
دافيد ويكسلر David Wechsler	696

أعـــــلام ... الـــــياء	707
كارل ياسبرز Karl Jespers	708
روبرت يركز Robert Yerkes	734
كارل غوستافه يونغ Carl Gustav Jung	741

بين يدي الموسوعة

شاءت الاقدار ان أطلع على صفحات قليلة من مخطوطة عربية في متحف اللوفر (تعود الى فترة الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام وعمرها قرابة 10 قرون) تتحدث عن النفس... لم اقرأ في حياتي عن النفس بهذا العمق والفكر والفلسفة والجمال... وتذكرت مقولة العظيم سقراط (اعرف نفسك) ... وشعاره الأبدي **(انني اعلم شيئا واحدا وهو أنني لا أعلم شيء)** ...

كنتُ أعتقد في مطلع حياتي (ببساطة وعفوية وربما سذاجة) أن صفوة بني البشر هم العلماء وأصحاب النظريات، ويترافق ذلك مع نقاء السريرة والعفة والطهارة والصدق والامانة والنُبل ورفعة الاخلاق في كل شيء... لكن مع تقدم السنوات... أدركت كم كنتُ مخطئاً...

فصفوة بني البشر هم ممن تحلى بصفاء قريب من النقاء المطلق دون ادراكه... وهذا نادر جداً في كل عصر وزمان... والأعلام في كل علم من العلوم هم بشر قبل كل شيء، فيهم الصالح والطالح وفيهم الغني برفعة الأخلاق، وفيهم الفقير فيها... الخ. وأعلام العلوم النفسية ليسوا استثناء فهم كغيرهم من الاعلام بين غني وفقير فيما اشرت...

ضمن حوار هاتفي مع عميد الطب النفسي العربي البروفيسور يحيى الرخاوي عام 2011 قال لي "لا اخفيك سرا انني لا أحب فرويد لكنني احترمه... وأرى معظم مؤلفاته لا قيمة علمية حقيقية لها"... قلتُ لأستاذنا الكبير ... اما انا فلا احبه ولا أستطيع احترامه...

- وفي حوار مع حفيدة سيغموند فرويد د. صوفي فرويد عام 2003، قالت لي: "**في نظري، كان أدولف هتلر وجدي من أنبياء القرن العشرين الكاذبين**" .... أذنتها في نشر ما قالته فلم تمانع ... توفيت د. صوفي عام 2022 عن عمر 98 عاما، وهي عالمة اجتماع وأستاذة جامعية رفضت جميع ما جاء به جدها ...وأمضت معظم حياتها العلمية في معارضة نظريات جدها علناً في جميع المحافل العلمية.
- وفي حوار مع حفيد شقيق سابينا سيليبراين (سابينا قُتِلَت مع بناتها على يد النازيين ولم يبقى لها ذرية، وقُتِلَ أشقاؤها الثلاث ـ وجميعهم علماء واساتذة جامعات ـ على يدي مخابرات ستالين) قال: "جدتي ظُلِمَت كثيراً جداً ومن الجميع وفي كل شيء"... وزودني بكثير من المعلومات وسَمَح بنشرها في حين تحفظ على نشر البعض الاخر وتمنى عليّ عدم نشرها، والتزمنا بوعدنا...
- في سيرة العالم **ألفرد بينيه** ظهر لدينا تناقض في بعض المعلومات وصَعُبَ التيقن منها، مما اضطرنا الى مراجعة الدوائر العلمية في باريس والاطلاع على الارشيف والوثائق الخاصة به كي نستجلي الدقة واحتاج الامر الى مزيد من الوقت وفوجئ الفرنسيون أنفسهم بما أشرنا اليه.

منذ قرابة عقد ونصف من الزمن، كانت البداية مع هذه الموسوعة للأعلام في علوم النفس، وهي نتيجة وعد شخصيّ مني للصديق **الاستاذ الدكتور جمال التركي** (رئيس شبكة العلوم النفسية العربية)، التي اسسها منذ أكثر من ربع قرن، وغدت منارة ومؤسسة رائدة كظاهرة نادرة فاقت الجامعات باعتراف واجماع غالبية علماء واطباء النفس العرب وغير العرب. هذا العالم النبيل والظاهرة النادرة، ما قدمه حتى كتابة هذه السطور لم يستطع أن يقدمه أي عالم على مستوى العالم أجمع...

بعد أن أتممت مسودة مبدئية كمخطط لهذه الموسوعة استغرقت أكثر من عام.. (حقيقة كانت لديّ الكثير من المعلومات عن العلماء الرواد في مجال العلوم النفسية... اذ كنتُ أُضَمّن مؤلفاتي عديد من سير العلماء الذين يرد اسماؤهم في متن كتبي .)...

كلفتُ السيدة **الدكتورة جولي أوليت** (لبنان/ انكلترا)، وهي صديقة وابنة صديق عزيز وتعمل معي منذ أكثر من 30 عاماً"... طلبتُ اليها أن تتولى الادارة التنفيذية لسير وتنظيم هذا العمل، وانتقاء أعضاء فريق العمل والتنسيق فيما بينهم... على أن يتم الاطلاع قدر الامكان على سيرة كل عالم من الاعلام من عدة

مصادر، اضافة الى الاطلاع على اهم أعماله، وتنظيم التواصل مع العالِم شخصياً بالنسبة للمعاصرين أو ذريته من أبناء وأحفاد وحتى ابناء الاحفاد...

تواصل عديد الاصدقاء والزملاء يدلون بملاحظاتهم وكانت جميع الملاحظات موضع اهتمام لديّ ... وتواصلتُ مع الصديق **البروفيسور قتيبة شلبي** (العراق / اميركا) الرئيس الفخري لشبكة العلوم النفسية العربية... بعد ان وجه رسالة اليّ عبر المسنجر جاء فيها: **(مارغريت ميد Margaret Mead** ثبت تزويرها لبحوثها في سموا. وانا اعرف زوجها السابق معرفة شخصية لأنه القى بعض من محاضراته. في جامعة كنساس التي كنت فيها مقيم في الطب النفسي)، أجبته: محق هي شخصية اشكالية...

تواصلت معه واستمعت لرأيه وعرضتُ عليه – ان رأى اهمية – سحب اسمها من موسوعة الاعلام فلم يوافق... حقيقة عديد الاعلام لديهم حالات مشابهة في ابحاثهم أو في سرد انجازاتهم بما فيهم فرويد ويونغ وغيرهم...

في سيرة **مارغريت ميد** (1901– 1978) **Margaret Mead** راجعتُ والفريق العلمي اكثر من 15 مرجع يتعلق بسيرتها وابحاثها وحوالي 20 موقع علمي معتمد وموثوق (نشرت بعضها على صفحتي الشخصية) يتحدث عنها وعن اعمالها وتواصلت شخصيا مع ابنتها عالمة الأنثروبولوجيا **ماري بيتسون** (1939–2021) **Mary Catherine Bateson** مطلع عام 2013، وعمدتُ بعد ذلك ادراج اسمها ضمن "موسوعة الأعلام في علوم النفس."

تضمنت الموسوعة سير ذاتية لأعلام نعدهم قامات كبري في علوم وطب النفس من العالم الغرب اوروبأمريكي والشرق عربإسلامي لم تخضع الى التحكيم، وشخصيات أخرى ادرجت فيها بعد تقييمها من لجنة التحكيم

تأتي هذه الموسوعة في اربع مجلدات:

– **المجلد الأول والثاني: مخصص لعلماء في علوم وطب النفس من العالم الغرب اوروبأمريكي،** ضمت حوالي 200 عالم، تم ترشيحهم من بين أكثر من 500 عالم، من الذين لهم نظريات لها من الريادة الشيء الكثير ومؤلفون وباحثون بمرجعيات وافكار خلاقة ذات قيمة جليّة ولهم اليد البيضاء في ايصال

علوم وطب النفس الى النور. بكل الاحوال، تم تجاوز المدرسين واساتذة الجامعات الذين لم يكن لهم اسهاما في التاريخ او النظريات ولم يبتكروا افكاراً. مستقبلا سنعمل لاضافة سيّر علماء من خارج العالم الاوروبأمريكي جديرة ان تتواجد ايضا في هذه الموسوعة، مثل اليابان، دول شرق اسيا، الصين، الهند، جمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقا"، وهو ما يتطلب جهدا وبحثا، ومتسعاً من الوقت ...

– **المجلد الثالث: موسوعة الاعلام في علوم وطب النفس خاص بأعلام المشرق والعالم العرباسلامي**، تضمن السير الذاتية لاساتذة واطباء، نعدهم قامات في حقول الاختصاص، منهم شخصيات راحلة، اجتهدنا في اختيارهم لمكانتهم العلمية ولانجازاتهم، الشخصيات الاخرى خضعت لتقييم اعضاء لجنة التحكيم....

المجلد الرابع: " **موسوعة الأعلام للسيدات في التحليل النفساني**" يدخل في إطار تسليط الاضواء على شخصيات نسائية تحليلنفسانية، ساهمت في ترسيخ مكانة هذا الفرع من العلوم، لم تلقى حظها من الاهتمام مقارنة بزملائهم من المحللين النفسانيين. تضمنت الموسوعة السير الذاتية لمحللات نعدهن قامات في التحليل النفساني، تم اختيارهن لمكانتهن ولانجازاتهن العلمية، في حين خضعت المحللات النفسانيات اللاتي طلبن ادراج سيرهن الذاتية في الموسوعة، لتقييم اعضاء لجنة التحكيم.

في مقدمة هذه الموسوعة، اتوقف على تفاصيل دعوتي لشخصيتين عربيتين لهذه الموسوعة لانهما دون أدنى شك ابرز شخصيتين عربيتين قدما خدمات جليلة لهذا الاختصاص في نهابة القرن 20 وبداية القرن 21... **البروفيسور يحيى الرخاوي**، عميد الطب النفساني العربي، الكادح في حقول علوم وطب النفس على مدى أكثر من نصف قرن من الزمن تحليلا وتنظيرا، والمؤسس **لنظرية الطبنفسي الايقاعحيوي**، والذي يعد اوّل شخصية عربية تؤسس **لنطرية في الطب النفساني... والدكتور جمال التركي** رئيس **مؤسسة العلوم النفسية العربية**، ومؤسس "**شبكة العلوم النفسية العربية**"، الكادح لأكثر من ربع قرن من الزمن لرقي علوم وطب النفس في اوطاننا، الساعي الى تمكين المصطلح النفساني العربي في حقول علوم النفس، والى رفع مستوى التعاون العلمي العرب–عربي، مما ساهم بشكل كبير في تحريك المياه الراكدة لهذا الفرع من العلوم وادخال ديناميكية عليه لم يشهدها في تاريخه...

في 10 يونيو 2025 وجهتُ رسالة الى أبناء الرخاوي (د. منى، د. مي، د. محمد) والى الدكتور التركي لتزويدي بالسيرة العلمية والشخصية للرخاوي والتركي. ونشرتها على صفحتي الشخصية على فيسبوك... حاول د. التركي ثنيي بتواضعة ولطفه عن ورود سبيرته وقال (لم يزل الوقت مبكرا بالنسبة لي)، وكان الموضوع عندي حاسماً فيما ارتأيت... مؤكدا أن هناك عديد الاسباب ـ لستُ في مجال ذكرها ـ دعتني الى أن تكون السيرة العلمية والشخصية للعلماء العرب تُكتَب من قبلهم شخصيا او من قبل ابنائهم أو عائلاتهم، انها منهجية لديّ لن اتجاوزها في سيّر الاعلام العرب...

من يعمل فيما عزمت لا يسلم من السهام، بكل الاحوال هي اضاءة على ما وصلنا او وجدنا ضمن الامكانات المتاحة وبأكبر قدر ممكن من الحيادية...

وطبيعي أن بعض من العلماء الذين تم ادراج اسمائهم غريبو الاطوار او حتى لا يمتلكون شيئا من رفعة الاخلاق... فما يهمنا هو جانب واحد فقط هو ما قُدم من ابحاث وعلوم في ميدان العلوم النفسية والتربوية...

الجدير بالذكر...

من الطبيعي ان **نغفل عن ذكر بعض الاعلام** ـ فنحن بشر ـ فأتقبل الاشارة الى ذلك بكل رحابة صدر واعمل على ادراج اسم العلم في الاصدارات اللاحقة.

يبقى الإنسان ... بحرٌ غني بمكنوناته وأسراره، تغطيه صفحة ماء جعدة بأمواجها... والزبد يزين وجهها ... خافية بذلك الغرابة والأسرار في قاع العمق وظلامه... ذاك العَالَم المغرق بالتعقيد والمجهول...

والعلوم النفسية... علوم شاسعة وشاملة لكل شيء في حياة الانسان، حتى غدت وكأنها ايديولوجيا بحد ذاتها لا يمكن الاستغناء عنها في أي شيء، وغدا الاحاطة بجوانبها ضرورة ملحة... لأنها تنظم سلوك المرء في كل شيء...

والعلوم النفسية، تستقي من جميع العلوم بلا استثناء، رغم نشأتها في قلب الفلسفة، وهي صميم الفلسفة، وتاريخها منذ وجد الانسان على وجه الارض...

بإنجاز هذا العمل تتحد الخطوط البسيطة بتناغم و تجانس لتشكل لوحة جميلة تضج بالحياة ، كما أنّ التفاصيل والهنيهات القصيرة تتراكم سنيناً طويلة. فإنّ عملنا المتواضع ينبوعٌ طِفلٌ تعانقت فيه قطرات صغيرة من جهود غالية .

شكر وعرفان...

الورد والياسمين... لكل من له يدٍ بيضاء في عملي هذا، ولكل من شاركني جهده... ولكل العيون التي راقبتني وانتظرتني بحب...

الشكر ... كل الشكر والعرفان بعد الله عز جل... **لوالدّي** (رحل والدي مع بدايات هذا العمل في 10.11.2012)...

الشكر ... كل الشكر والعرفان... **لزوجتي وأبنائي**...

والشكر موصول للصديق الظاهرة ا. د. **جمال التركي** صاحب فكرة هذا العمل ولولاه لما كانت هذه الموسوعة...

والشكر موصول للصديق جراح قلب الأطفال العالمي البروفيسور حسان صالح علي (نائب رئيس قسم جراحة افات القلب الخلقية واستاذ كبار جراحي قلب الاطفال في مركز باكوليف العالمي لجراحة القلب والاوعية الدموية في موسكو) الذي ساهم بتزويدي بالكثير من المراجع والمعلومات عن سيّر العلماء الروس...

والشكر موصول **لشقيقه جراح الأعصاب القدير البروفيسور محمد صالح علي** الذي ساهم بتزويدي أيضاً بالكثير من المراجع والمعلومات عن سيّر العلماء الألمان...

الشكر والعرفان موصول أيضا **لطاقم العمل كاملا والفريق العلمي**...

كل الشكر الى الفريق العلمي المتمثل بكل من : **(د. هبة الكردي، د. ليلى الصواف، د. مناس الصواف، د. نجود سلطان، د. جوليا سليمان، د. رنيم علي، د. ولاء حسن، د. هبة القنطار، د. أمل مصطفى** محمود، ا.د. **صبا علي، د. فداء نصّور، ود. اروى عباس** الطالبة المتفوقة...).

والشكر موصول الى الصديق العزيز المستشار **أنس كيلاني** والنابغة القانوني **البروفيسور عبود السراج والقاضي يوسف يوسف والقاضي محمد عسكر والمحامي عبد الرحمن الكردي والمحامي وليد شمو**... على مقترحاتهم وملاحظاتهم وآرائهم القيمة...

والشكر كل الشكر للصديق العزيز العلامة **البروفيسور محمود السيد** (أمد الله في عمره) رئيس مجمع اللغة العربية الذي تابع هذا العمل بمحبة واهتمام واثرى هذا العمل بملاحظاته...

والشكر موصول الى (سيدات الارشاد النفسي وعلم النفس كل من: **عُلا بشلاوي، رانيا رزق، مريم سعيد**)...

أخيرا ...

وفي الختام أقول:

من يلتقط اللؤلؤ يلتقطه بلطف ومن يتعامل مع الإنسان أعظم لؤلؤة أوجدها الخالق على وجه الأرض يجب أن يعامله بحب ....

كلي أمل أن أكون قد وفقت لتقديم ما هو جدير بالزمن الذي سيبدد أثناء قراءة هذه الموسوعة.

أعلام الشيعة

جان مارتان شاركو

Jean martin Charcot

جان مارتان شاركو ***Jean martin Charcot*** (1825- 1892) فرنسي، أبو علم الأعصاب الحديث، وكانت له شهرة واسعة حتى جاءته وفود طالبي العلم والمتلقين عنه من كل أوروبا، وكان منهم جانيه *Pierre Marie Félix Janet* وسيغموند فرويد *Sigmund Freud* ، ولم يكن فرويد يذكر اسمه إلا مقروناً بأستاذي.

وشاركو تعلم الطب بجامعة باريس وعلم بها، وارتبط اسمه بمستشفى سالبتريير، وبفضله غدت مدرسة تعليمية كبرى، وصاروا يشيرون إليها باسم مدرسة سالبتريير، وكانت تنافسها مدرسة نانسي، ومقرها مستشفى نانسي التي كان يشرف عليها العالمان *Ambroise-Auguste Liébeault* (1823- 1904) و *Hipolyte Bernheim* (1840- 1919).

وكان شاركو ابتداء من سنة 1880 قد بدأ يدرس الهستيريا والتنويم، ولاحظ أن المرضى بالهستيريا تظهر عليهم أعراض متفاوتة كثيرة، منها فقدان الذاكرة والخدار والشلل والتشنجات الخ، واستخدم في دراسته للمرض طريقة التنويم، واعتبر الهستيريا وكل أنواع العصاب أمراضاً عصبية وإن لم تكن لها الأسباب العضوية التي للأمراض العصبية، إلا أنها مع ذلك لها مظاهر هذه الأمراض، وهي مظاهر وظيفية، وفسّر إصابة المرضى بها بأن لديهم نزوعاً أو استعداداً موروثاً لأن يتداعوا لظروفهم المادية والنفسية بهذه

الطريقة، وقال إن هذه الظروف هي أحداث صادمة لها وطأة شديدة عليهم، حتى أن الجهاز النفسي للمريض ليلجأ إلى فصل الحادثة الصادمة عن شعور المريض فينساه، ولكن أثرها يظل سارياً مع ذلك في شكل الأعراض المرضية الهستيرية التي تظهر عليه. وأكد شاركو أن الصدمة سواء كانت مادية أو نفسية هي العامل الحاسم في استحداث العصاب... وكان قد قرأ في علم النفس وعرف عن التنويم ومظاهره وأثره، وخاصة ما كتبه عنه *Charles Robert Richet* عالم الفسيولوجيا، و *Théodule-Armand Ribot* ، وأن من الممكن استحداث أعراض الهستيريا في الشخص المنوم بالإيحاء أثناء جلسة التنويم. ولجأ شاركو إلى التنويم لعله به يكشف أدعياء المرض الهستيري، وكان يرى أن التنويم والهستيريا لهما الأثر نفسه من حيث إمكان تغيير الشخصية، وأنه من خلال تنويم المريض يمكن دراسة حالته وتتلاشى مقاومته ويتذكر الحادثة الصادمة.

ويذكر شاركو ثلاث مراحل يمر بها الشخص المنوم، الأولى يسميها مرحلة السبات *Lethargy*، والثانية الجُمدة *Catalepsy* أي الجمود أو التخشب، وفيها يمكن الإيحاء له بأية أفكار، والثالثة مرحلة الجوال النومي *Somnambulism* أي أن يمتثل المريض لما يُطلب منه بالحركة دون أن يتذكر في اليقظة أنه فعل شيئاً أو سلك بشكل معين، وهو ما يؤكد أنه في التنويم يحدث انفصال في الشخصية، أي أنه ظاهرة مرضية. وكانت مدرسة نانسي تقول عكس ذلك، وثبت أنها الأصح، وكان ليبولت وبيرنهايم زعيما تلك المدرسة يؤكدان باستمرار أن التنويم تجربة سلوكية عادية بتأثير الإيحاء، وأن من الممكن تنويم أي شخص، في حين أن شاركو كان يقول إن الذي ينجح معه التنويم هو الشخص المصاب بالهستيريا أو الذي لديه استعداد للإصابة بها. والمهم أن شاركو اكتشف أنه في التنويم يمكن أن يتذكر المريض الحوادث والذكريات المؤلمة التي نسيها، وأنه بتذكرها تزول الأعراض. وكان المعروف أن الهستيريا كنوع متفرد من العصاب لا تأتي إلا النساء، واسمها هستيريا من اليونانية اشتقاقاً من الرحم، بمعنى أن اضطرابات الرحم تتسبب فيها، وكانت المفاجأة أن شاركو ذكر أن الهستيريا تصيب الرجال كما تصيب النساء. ونقل فرويد طريقة شاركو إلى فيينا، وقال مقالته أن الهستيريا من أمراض الرجال والنساء، وكانت مقالته تثير التندر والسخرية. ولقد أخذ فرويد عن شاركو كذلك قوله بأن الجنس يمكن أن يتسبب في الإصابة بالعصاب، إلا أن فكرة شاركو ذكرها عرضاً وهو يشخص حالة الاضطراب النفسي عند إحدى المريضات بأنها ناتجة عن إصابة زوجها بالعجز الجنسي، وتناول فرويد الفكرة وبنى عليها نظرية بأكملها في الجنس.

أعـــلام ... "الفـــاء"

تيودور فايتز (وايتز)

Theodor Waitz

تيودور فايتز (وايتز) ***Theodor Waitz*** (1821–1864) عالم نفس وأنثروبولوجيا ألماني، وُلد في غوتا في 17 مارس 1821. تلقى تعليمه في لايبزيغ Leipzig وجينا Jena، وجعل الفلسفة وعلم اللغة والرياضيات دراساته الرئيسية، وفي عام 1848 عُيّن أستاذًا للفلسفة في جامعة ماربورغ Universität Marburg. كان ناقدًا لاذعًا لفلسفة فيشته Johann Gottlieb Fichte وشيلينغ Friedrich Wilhelm Joseph Schelling وهيغل Georg Wilhelm Friedrich Hegel، واعتبر علم النفس أساس كل فلسفة.

من رواد سيكولوجية الشعوب، ومن خيرة علماء النفس الذين تناولوا التربية الدينية، ونقدوا نظريات التمايز العنصري، وبحثوا في الدوافع النفسية لها، ودحضوا مزاعم التفوق العرقي. وله كتاب "أنثربولوجيا الشعوب البدائية *Anthropologie Naturvolker*" (1859– 1872)، في ستة أجزاء، ويعتبر من الكتب المرجعية الهامة في علم نفس الأجناس وعلم الحضارات القديمة، وهدفه الذي قصد إليه من هذا الكتاب أن يؤسس لعلم في التربية، يقوم على دراسة واعية بالأصول السلالية وسيكولوجياتها وأفكارها وعاداتها وتقاليدها، وهي كما يقول أساس الحضارة الحالية. ويعتبر أول عمل شامل في الأنثروبولوجيا مكتوبًا باللغة الألمانية.

وفايتز من بيت ديني، وأبوه من المؤمنين المستنيرين، وكل كتب فايتز في الفلسفة وعلم النفس يبطنها الإيمان العميق بالله، وهي دعوة بطريقة أو بأخرى إلى احترام الديانات جميعها، باعتبارها أرفع وأسمى ما يمكن أن يبدع العقل في مجاله ويحظى باهتمامه.

ودرس فايتز في لايبتسغ Leipzig ، وحصل على الدكتوراه في سن التاسعة عشرة ، وانضم إلى سلك التدريس بجامعة ماربورغ Universität Marburg ، ونشر كتابين تعليميين في علم النفس، وهما "أسس علم النفس *Grundlegung zur Psychologie*" (1846)، و "علم النفس كعلم طبيعي *Lehrbuchder Psychologie*" (1946) وقد حاول فيهما أن يمزج بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية. ومن رأي فايتز أن المعرفة بالعلم الطبيعي لا تبلغ بالإنسان إلى شيء وإنما ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى تأصيل معرفته بالعالم ليعلم أين هو منه. ولكي يتسنى لـ فايتز أن يعلم عن ذلك درس التشريح، وقرأ هيربرت *Herbert Spencer* وتأثر به، وأيقن أن العلم بأصول التربية هو الذي يمكن به تحصيل الفهم بالأفراد والجنس البشري ككل، وكتابه "التربية العامة *Allgemeine Padagogik*" (1852) يطرح فيه كل تصوراته لعلم نفس تربوي بروح دينية.

وفايتز يؤمن بالوحدة السيكولوجية للجنس البشري، وهاجم بعنف فكرة ارتقاء أجناس على أجناس، التي قال بها كليم *William Klemm*. وغوبينو *Arthur de Gobineau*، وجورج غليدون *George Robbins Gliddon*، وأكد أن التمايز حدث فقط على مرّ التاريخ، وأن مراحل التاريخ يمر بها كل جنس، وأن التمايز تستحدثه البيئة وتفاعل الإنسان معها، وعلاقته مع الأفراد الآخرين في البيئة نفسها. وتفاعل الجماعات مع بعضها البعض. ولكي نعرف الإنسان في حقيقته بدون تأثيرات، لا بدّ أن ندرس الشعوب الأميّة. ويسميها فايتز الشعوب على الفطرة، ولن نخرج من هذه الدراسة إلا بأن الأسس النفسية لها جميعاً واحدة، وكذلك قدراتها العقلية، طالما أنها تخضع لمؤثرات بيئية واحدة. ولم تحدث الإبادة لبعض هذه الشعوب إلا بسبب صغر حجمها، وللتأثير الضار للاحتكاك بالأوربيين الغزاة، ولم يكن السبب هو تفاوت في القدرات العقلية أو الخصائص النفسية. ويقول فايتز إنه من الأولى أن نتحدث عن شعوب وليس عن أجناس، فالأجناس لا وجود لها كوحدات دائمة لا تقبل التغيّر والتحول. والشعوب في ذلك، أو حتى الأجناس، مثل الأفراد في الجماعة الواحدة، فكما أن الأفراد بينهم فروق فردية واختلافات تشريحية وفزيولوجية وسلوكية، فكذلك الشعوب أو الأجناس، وإنما يتم ذلك كله في إطار وحدة الجماعة الإنسانية.

وسخر فايتز من أن يكون أفراد الجنس الأسود مثلاً لهم جميعاً مقاسات واحدة في هيئة الجمجمة، أو أن الاختلاف بين الشعوب وعدم نقائها عرقياً هو المسؤول عن تدهورها، أو أن الحضارة موهبة وتقوم على المواهب العقلية لشعب دون شعب، أو أن المواهب عند شعب مسألة دائمة وثابتة.

وقال إن التطور الحضاري ورقي أي ثقافة يعتمدان على مستوى تعليم أفراد الشعب والمرحلة التاريخية التي يعيشونها. وكما أن النمو العرقي للشعب يمكن أن يتغير نتيجة التغير في المناخ والغذاء وأسلوب الحياة والظروف الاجتماعية، الخ، فكذلك تتغير مواهب الشعوب. وقال إنه حتى في الثقافة الواحدة تتباين المستويات الحضارية للأفراد، ومن الممكن لشعب من الشعوب أن يرتقي دون أن يستعير الوسائل الحضارية لشعب آخر. وكذلك يمكنه أن يتجنب أسباب انحطاط وتدهور شعب آخر. وعارض غوستاف فخنر *Gustav Fechner* في دعواه أن الانغماس في الملذات هو سبب انحطاط الشعوب، وقال إن اجتناب الملذات لا يصنع الحضارة، وإنما يصنعها العمل الدؤوب.

وقال إن الإنسان يحشد طاقاته النفسية ويعمل بجد عندما يتعرض للضغوط، وليس الجهد الذهني إلا وسيلة نحو غاية ارتقائية وليس غاية في حد ذاته. ولعله لهذا كان اهتمام فايتز بعلم النفس والتربية لكي يدلل على أن التعليم هو وسيلة التحضر، وسبيل الإنسان إلى ظروف اجتماعية أفضل، ومن ثم تكون له المواصفات السيكولوجية المهيئة للإبداع والترقي.

لم يمنع توجه فايتز الأخلاقي والمثالي من القيام بأعمال تجريبية بحتة. في الواقع، وعلى عكس علم النفس في عصره، الذي هيمنت عليه مثالية هيجل ومراحل البناء الجدلي، كان عمله إعلانًا عن الأهمية القصوى للتجريبية في علم النفس. أكد فايتز على أن علم النفس، مثل العلوم الطبيعية، يجب أن يستكشف العلاقات السببية في عالم النفس. كما انتقد علم النفس التقليدي لفشله في دراسة التفاعلات بين الأفراد التي تشكل الحياة الداخلية والخارجية للمجتمع البشري. وبينما أكد على هذا الجانب الاجتماعي للبحث الأنثروبولوجي، إلا أنه اعتقد أن الجهد الإبداعي الفردي يزداد بروزًا في الجماعات البشرية مع تقدم الثقافة .

أعلام "الكافي"

دافيد كاتز (ديفيد كاتس)

David Katz

دافيد كاتس (ديفيد كاتز) David Katz (1884– 1953) ألماني، من التجريبيين، واشتهر كشارح للمنهج الفينومينولوجي (الظاهراتي) في علم النفس بكتابه "علم نفس الغشطلت" (1944) يناقش فيه معنى مصطلح غشطلت، وطبيعة هذا العلم أو الفرع الجديد من علم النفس. والواقع أن كاتس نفسه لم يكن يتبع مدرسة معينة من مدارس علم النفس، إلا أنه لم يكن على وئام مع المدرستين الذرية والترابطية، وقد تصدى لهما بالنقد، وكذلك فإن كتابه "علم نفس الغشطلت" برغم أنه يعرض فيه لمبادئ مدرسة الغشطلت عرضاً يكاد يلتزم فيه التزاماً بفكر فيرتايمر Max Wertheimer وكوللر Ulrich Köhler وكوفكا Kurt Koffka، إلا أنه من ناحية أخرى لم يكن أبداً يدافع عن مدرسة الغشطلت، وكان ينقدها أيضاً حيثما استلزم الأمر. ويظهر في كتابه تأثير هوسرل Edmund Husserl كذلك والمدرسة الظاهراتية عموماً.

ولد ديفيد كاتس في كاسل بألمانيا من أصول يهودية ، وتلقى تعليمه المبكر في مسقط رأسه. تعلم في جوتنجن وميونخ وبرلين, درس علم النفس والفلسفة في جامعة جوتنجن، حصل على الدكتوراه من جوتنجن تحت إشراف جورج الياس موللر Georg Elias Müller (1907)، وكان مساعداً له، وتزوج من روزا هايني من تلامذة موللر Hermann Joseph Muller ، واشتركت مع كاتس في كثير من أبحاثه، درّس علم النفس والتربية بجامعة روستوك University of Rostock في ميكلينبورغ Mecklenburg. ولما

هاجر إلى إنكلترا عمل لبعض الوقت مع سيريل بيرت Cyril Burt ، ثم عين بجامعة ستوكهولم Stockholms universitet أستاذاً لعلم النفس والتربية أيضاً، واختير سكرتيراً للمؤتمر الدولي الثالث عشر لعلم النفس.

تأثر كاتس في بداية مسيرته المهنية بالعديد من علماء النفس البارزين في عصره، مما ساعده على تكوين رؤيته الخاصة في هذا المجال. بعد حصوله على الدكتوراه، عمل كاتس في عدة مؤسسات أكاديمية في ألمانيا، وشارك في إجراء العديد من الأبحاث والدراسات الهامة. في تلك الفترة، بدأ في تطوير اهتمامه الخاص بالإدراك الحسي، وهو المجال الذي سيصبح محور تركيزه الرئيسي في عمله.

ولكاتس بحوث رائدة في الإدراك البصري، والإدراك اللمسي ،وله دراسات في علم نفس الأطفال بالاشتراك مع زوجته، وسلسلة طويلة من التجارب على الحيوانات ضمّنها كتابه "الحيوانات والإنسان" (1937). وله دراسة مشهورة في الدافعية يحلل فيها الجوع وشهوة الطعام، وتجارب على إدراك الاهتزازات، ودراسات على سيكولوجية التفكير.

وله إسهامات في تطوير أدوات التجريب، وكان مختبره النفسي في جامعة روستوك مقصد الكثيرين، وخاصة علماء النفس من السويد. وطريقته في العمل به كانت طريقة أستاذه موللر، إلا أنه لم يشايعه على مدرسته التحليلية. وكان من زملائه في ذلك الوقت مكدوغال William McDougall وسبيرمان Charles Edward Spearman.

هاجر ديفيد كاتس إلى السويد في عام 1939 هربًا من النازية. قبل ذلك، كان قد شغل مناصب أكاديمية مرموقة في ألمانيا. في السويد، استمر في مسيرته المهنية كأستاذ جامعي وباحث في جامعة ستوكهولم، حيث أجرى العديد من الأبحاث الهامة. ركزت أبحاثه بشكل أساسي على دراسة الإدراك الحسي، وكيفية معالجة الدماغ للمعلومات الحسية. كان كاتس رائدًا في استخدام المنهج العلمي في دراسة الظواهر النفسية المعقدة. وقد ساهمت أبحاثه في تطوير فهمنا للإدراك البصري والسمعي، بالإضافة إلى دراسة كيفية إدراك الأفراد للعالم من حولهم.

أهم إسهاماته في علم النفس

ترك ديفيد كاتس إرثًا كبيرًا في علم النفس، وتتمثل أهم إسهاماته فيما يلي:

- **دراسات الإدراك الحسي** :يعتبر كاتس رائدًا في دراسة الإدراك الحسي، خاصة في مجال الإدراك البصري. قام بإجراء تجارب رائدة حول كيفية رؤية الألوان، وكيفية إدراك الأشياء من حيث الشكل والحجم والمسافة.
- **نظرية الشكل** :**(Gestalt Theory)** على الرغم من أنه لم يكن من أبرز رواد مدرسة الغشطالت، إلا أنه تأثر بهذه المدرسة، واستخدم مبادئها في تفسير بعض الظواهر الإدراكية.
- **علم النفس الاجتماعي** :اهتم كاتس أيضًا بدراسة السلوك الاجتماعي، وكيفية تفاعل الأفراد في الجماعات. وقد ساهمت أبحاثه في فهمنا للعلاقات الاجتماعية، والدور الذي تلعبه العوامل النفسية في تشكيل هذه العلاقات.
- **التعليم والتدريس** :بالإضافة إلى أبحاثه، كان كاتس أستاذًا جامعيًا متميزًا، وقد أثر في عدد كبير من الطلاب والباحثين. ساهم في نشر المعرفة النفسية، وتقديمها بطريقة واضحة ومبسطة.

أعماله الرئيسة

قام ديفيد كاتس بتأليف العديد من الكتب والمقالات العلمية التي أثرت في مجال علم النفس. من أبرز أعماله:

- **"نظام الألوان** :**(Die Farbenwelt)** "يعتبر هذا الكتاب من أهم أعمال كاتس، حيث قدم فيه دراسة متعمقة حول الإدراك اللوني، وكيفية رؤية الألوان وتفسيرها.
- **"علم النفس الحسي** :**(Sensory Psychology)** "عرض في هذا الكتاب نظرياته حول كيفية إدراك الحواس للعالم المحيط، وكيفية معالجة الدماغ للمعلومات الحسية.
- **مقالات علمية** :نشر كاتس العديد من المقالات العلمية في مجلات علم النفس المرموقة، والتي ناقش فيها موضوعات متنوعة مثل الإدراك البصري، والسمعي، والاجتماعي.

تأثيره على علم النفس الحديث

كان لديفيد كاتس تأثير كبير على تطور علم النفس الحديث. فقد ساهمت أبحاثه في تعزيز فهمنا للإدراك الحسي، وكيفية تفاعل الأفراد مع بيئتهم. أثرت أفكاره على العديد من علماء النفس والباحثين الذين استمروا في تطوير هذه الأفكار وتوسيعها. يعتبر كاتس من الرواد الذين أسسوا لاتجاهات جديدة في علم النفس، ومهدوا الطريق للعديد من الاكتشافات الهامة في هذا المجال.

المنهجية العلمية في أبحاث كاتس

اتسمت أبحاث ديفيد كاتس بالمنهجية العلمية الدقيقة. فقد اعتمد على إجراء التجارب والملاحظات، وتحليل البيانات بشكل موضوعي. استخدم كاتس الأدوات والتقنيات الحديثة في عصره لدراسة الظواهر النفسية المعقدة، مما ساهم في زيادة موثوقية ودقة أبحاثه. كان يؤمن بأهمية التجريب في فهم سلوك الإنسان، وتقديم تفسيرات علمية مبنية على الأدلة. كما حرص على نشر نتائج أبحاثه لكي يستفيد منها الباحثون الآخرون، ويتمكنوا من تطوير هذه الأفكار.

تطبيقات عمل كاتس

لم تقتصر أهمية أعمال ديفيد كاتس على الجانب النظري فقط، بل كان لها تطبيقات عملية مهمة في مجالات مختلفة. على سبيل المثال:

- **التصميم** :ساهمت أبحاث كاتس حول الإدراك البصري في تطوير مبادئ التصميم الجيد، مثل كيفية استخدام الألوان والأشكال لخلق تأثيرات بصرية معينة.
- **التسويق والإعلان** :استخدمت مبادئ الإدراك التي اكتشفها كاتس في تصميم الإعلانات، واختيار الألوان والصور التي تجذب انتباه المستهلكين.
- **التعليم** :ساهمت أفكار كاتس في تطوير أساليب التدريس التي تعتمد على فهم كيفية تعلم الطلاب، وكيفية معالجة المعلومات.

نقد أعمال كاتس

على الرغم من أهمية أعمال ديفيد كاتس، إلا أنها لم تخل من بعض الانتقادات. فقد وجهت بعض الانتقادات إلى تركيزه على الإدراك الحسي، وإهماله لبعض الجوانب الأخرى من السلوك الإنساني. كما انتقد بعض الباحثين منهجيته في بعض التجارب، وطريقة تفسيره للنتائج. ومع ذلك، فإن هذه الانتقادات لم تقلل من أهمية مساهماته في علم النفس، بل ساهمت في تحسين وتطوير هذا المجال.

مقارنة مع علماء النفس الآخرين

يمكن مقارنة ديفيد كاتس بالعديد من علماء النفس الآخرين الذين اهتموا بدراسة الإدراك والسلوك الإنساني. على سبيل المثال:

- **فيلهلم فونت** :يعتبر فونت من رواد علم النفس التجريبي، وقد اهتم بدراسة العمليات الإدراكية الأساسية. اختلف كاتس عن فونت في تركيزه على الإدراك الحسي، واستخدامه لمنهجية تجريبية مختلفة.
- **ماكس فيرتهايمر** :كان فيرتهايمر من رواد مدرسة الغشطالت، وقد اهتم بدراسة مبادئ التنظيم الإدراكي. تأثر كاتس ببعض أفكار فيرتهايمر، ولكنه ركز على دراسة جوانب أخرى من الإدراك.
- **إدوارد برادفورد تيتشنر** :كان تيتشنر من أنصار مدرسة البنيوية في علم النفس، وقد اهتم بتحليل الخبرة الواعية إلى عناصرها الأساسية. اختلف كاتس عن تيتشنر في منهجه وأهدافه، حيث ركز على دراسة الإدراك كعملية نشطة.

العلاقة بين علم النفس والفلسفة

كانت العلاقة بين علم النفس والفلسفة وثيقة في عصر ديفيد كاتس. فقد تأثر كاتس بالفلسفة، خاصة الفلسفة الظاهراتية، التي اهتمت بدراسة الخبرة الإنسانية المباشرة. استخدم كاتس بعض الأفكار الفلسفية في تفسير الظواهر النفسية، ولكنه حرص على استخدام المنهج العلمي في أبحاثه. وقد ساهمت أبحاثه في توضيح العلاقة بين العقل والجسد، وكيفية تفاعل الأفراد مع العالم من حولهم.

إرثه وتأثيره المستمر

يستمر إرث ديفيد كاتس في التأثير على علم النفس حتى اليوم. فقد ساهمت أبحاثه في تطوير فهمنا للإدراك الحسي، والسلوك الإنساني، والعلاقات الاجتماعية. تستمر أفكاره في الإلهام للباحثين والطلاب، وتشكل أساسًا للعديد من الدراسات الحديثة في هذا المجال. يعتبر كاتس من العلماء البارزين الذين تركوا بصمة واضحة في تاريخ علم النفس، وسوف تظل أعماله مرجعًا هامًا للباحثين والمهتمين بهذا المجال.

خاتمة

في الختام، كان ديفيد كاتس عالم نفس وتربويًا سويديًا مولودًا في ألمانيا، ترك إرثًا كبيرًا في علم النفس. ركزت أبحاثه على دراسة الإدراك الحسي، وكيفية تفاعل الأفراد مع البيئة المحيطة بهم. ساهمت أعماله في تطوير فهمنا للسلوك الإنساني، وتطبيقاتها في مجالات مختلفة. على الرغم من بعض الانتقادات التي وجهت إليه، إلا أن إسهاماته لا تزال تؤثر على علم النفس الحديث، وتعتبر مرجعًا هامًا للباحثين والمهتمين بهذا المجال.

أعلام ... الأعلام

كارل سبنسر لاشلي

Karl Spencer Lashley

كارل سبنسر لاشلي Carl Lashley (1890–1958) أميركي اشتهر بأبحاثه السلوكية على المخ، وتأثير الإصابات المخية على وظائفه، وبالتالي على السلوك، وخاصة ما يتعلق منه بالتعلم والتذكر. ولاشلي في هذا المجال يعتبر رائداً من رواد علم النفس التجريبي، وخاصة علم النفس العصبي. وأبحاثه كلها تجريبية سلوكية في طابعها وتوجهاتها،

ساهم عمل لاشلي بشكل كبير في تطوير فهمنا لوظائف الدماغ وسلوكه . اشتهر بأبحاثه الرائدة في الآليات العصبية للتعلم والذاكرة ، وكان لمساهماته تأثيرٌ دائم على مجال علم النفس. وقد أثرت نظرياته، وخاصةً مفهومي الفعل الجماعي وتساوي الجهد، على علم الأعصاب المعاصر وعلم النفس الإدراكي، مما جعله شخصيةً محوريةً في دراسة علاقات الدماغ بالسلوك.

وُلد لاشلي في 7 يونيو 1890 في ديفيس، بولاية فرجينيا الغربية. كان ابنًا لتشارلز وماغي لاشلي، اللذين وفرا له بيئةً داعمةً عززت اهتمامه المبكر بالعلوم. بدأت مسيرته الأكاديمية في جامعة فرجينيا الغربية، حيث درس علم الحيوان في البداية. قاده شغفه بالعلوم البيولوجية إلى جامعة بيتسبرغ، حيث حصل على درجة البكالوريوس عام 1910. تابع دراساته العليا لاحقًا في جامعة جونز هوبكنز، وحصل على درجة الدكتوراه في علم الوراثة عام 1914 تحت إشراف جون ب. واتسون James Dewey Watson ، الشخصية البارزة في السلوكية.

خلال سنوات تكوينه، تأثر لاشلي تأثرًا عميقًا بالبيئة الفكرية في جامعة جونز هوبكنز، حيث انفتح على مجال علم النفس التجريبي الناشئ. وكانت هذه الفترة حاسمة في تشكيل اهتماماته البحثية المستقبلية ومنهجياته.

كان تأثره شديداً بواطسن James Dewey Watson والمدرسة السلوكية، وعمل معه لفترة من الزمن في مجال التعلم، وتأثر به وبمنهجه في البحث، وكان هو نفسه في تدريسه لعلم النفس مثالاً حياً تطبيقياً لنتائج أبحاثه في التعلم، واستغل هذه النتائج التي ضمنها نحواً من مائة بحث وكتاب هي كل حصيلته خلال عمره الأكاديمي.

في عام 1917، انضم لاشلي إلى هيئة التدريس بجامعة مينيسوتا، حيث بدأ بإجراء تجارب على الأساس العصبي للتعلم. ركزت أبحاثه المبكرة على دور القشرة المخية في التمييز الحسي والتنسيق الحركي. وشكلت هذه الدراسات بداية مسيرة مهنية حافلة امتدت لعقود، وأثمرت عن العديد من النتائج المؤثرة.

تتمحور أهم مساهمات كارل لاشلي في علم النفس حول نظرياته حول فعل الكتلة وتساوي الجهد. وقد انبثقت هذه المفاهيم من أبحاثه المكثفة حول الآليات العصبية الكامنة وراء التعلم والذاكرة.

ونظرية لاشلي، رغم تأثره بواطسن، جاءت على عكس ما كان يهدف إليه من أبحاثه، فقد كان يظن أن وظائف المخ لها محدداتها المكانية، وأجرى تجاربه على المتاهة والفأر بعد احداث تلفيات في اللحاء في أماكن مختلفة على مراحل، وتأكد بذلك من أمرين هما قوام نظريته أو إسهامه، الأول يسميه الفعل الكتلي mass action، والثاني يسميه القدرة المتساوية equipotentiality، وقد رصد هذه النظرية في كتيب بعنوان "ميكانيزمات المخ والذكاء Brain Mechanisms and Intelligence" (1929) وخلاصة ذلك أن التعلم أو على الأقل بعض أنواعه يسيطر عليه اللحاء المخي ككل وليس أجزاء منه هنا أو هناك، أو أن كفاءة التعلم تتوقف تدريجياً تقريباً على كمية اللحاء المخي في الحيوان في حالة استئصال أجزاء منه.

والمبدأ الثاني من نظريته أن الجزء المتبقي من اللحاء المخي يتولى عن الباقي كل وظائفه ويعوض عما استؤصل أو أصابه التلف. وقد تبين للاشلي أنه بعد تدمير اللحاء البصري في الفأر فإن من الممكن إعادة تعليمه على التمييز البصري مرة أخرى، وأيضاً أن بإمكان الفأر تمييز المثيرات البصرية تمييزاً جيداً إذ توفر وجود جزء ولو بسيط يتبقى سليماً من اللحاء البصري، ومن ذلك تحصل للاشلي أن كل الأجزاء

متضامنة وظيفياً، وأن حرمان الحيوان من بعضها كفيل بأن يبعث فيما يتبقى من الأجزاء أن تعوض عما تلف منها.

ونتائج لاشلي السابقة قد يكون بعضها مبتسراً، وبعضها خاطئاً بالنظر إلى النتائج المستخلصة حالياً بعد التطورات الهائلة في المختبرات وأجهزة البحث العلمية، وقد تبين أنه على العكس هناك فعلاً أماكن لوظائف المخ على غير ما أكد لاشلي، إلا أنها كما ذهب هو في نتائجه لا تتخذ لها مواضع محددة، وإنما هي أقرب إلى أن تعمل كتلياً in masses. وأما بخصوص القدرة المتساوية فقد ثبت صوابه فيها في مجال الإحساس. والاختلاف حول ذلك ليس في الواقعة أو الحقيقة نفسها وإنما في تفسيرها، وهناك العديد من التفسيرات لهذه الظاهرة حالياً بدلاً من التفسير البسيط الذي قدمه لاشلي، وهو ليس بتفسير وإنما كان تقريراً للواقعة ولوجودها. وما يزال تغير هذه الظاهرة مسألة خلافية لم يصل لها أحد إلى حل حتى الآن.

وكانت أبحاث لاشلي في مجال التشريح العصبي على الجهاز البصري كثيرة وإسهامه فيها كان في مجال تعميم الخبرات البصرية المتعلمة، والأبحاث التي قدمها في الوصلات بين الشبكية والمهاد وتركيب اللحاء تعتبر من الكلاسيكيات في هذا المجال.

وكان إسهامه الأخير هو نظريته في الوظيفية العصبية، وقد حاول بها تفسير طريقة عمل المخ في الإدراك والتعلم، واستخدم في ذلك نظرية المجال، وجرب عليها، واهتدى إلى بطلان كل التفسيرات وما بنى عليها من نظريات، لأن التجريب قد دحضها جميعاً، واكتفى بأن قال إنه وجيله من العلماء ربما قد اقتصر عملهم على وضع الأساس لنظرية لاحقة دون أن ينجحوا فعلاً في أن يكون لهم فضل هذه النظرية. وكان شديد الاقتناع بإمكان أن تكون هناك هذه النظرية المقنعة، وقال في آخر مقال نشره في هذا الخصوص إن دراسة عمليات المخ والنظام القائمة عليه ينفي بشدة أن يكون منها ما لا يمكن تفسيره مبدئياً بميكانيزمات المخ. وبعد نشر هذا المقال "Cerbral Brain and Behvior".

أعماله الرئيسية: التفسير السلوكي للشعور The Behavioristic Interpretation of Conciousness؛ الميكانيزمات العصبية في التعلم Nervous Mechanisms in Learning؛ كتاب علم النفس التجريبي العام A Handbook of Experimental Psychology؛ مشكلة النظام المتسلسل في السلوك The problem of Serial Order in Behavior.

ملخص

لاشلي عالم نفس أمريكيّ، حصل على الدكتوراه من جامعة هوبكنز سنة 1914م، وكان موضوع رسالته فيها يدور حول علم الوراثة. أجرى أبحاثا حول موضوعات عدة من بينها العلاقة بين كتلة الدماغ وقابلية التعلم، والسلوك الحيواني، ووظائف الدماغ، كما اكتسب مهارات في الجراحة ودراسة الأنسجة المجهرية اللازمة لفحص أساسات التعلم العصبية. ويشتمل عمله أبحاثا حول آليات الدماغ التي ترتبط بمُستقبِلات الحس، وأبحاثا حول الأساس القشريّ للأنشطة الحركيّة. وضع لاشلي في دراسته التي أطلقها سنة 1929م "آليات الدماغ والذكاء" مبدأين هامين: العمل الجماعي الذي يفترض أنه تتحقق أنواع محددة من التعلم بواسطة القشرة الدماغية كلها، خلافًا للرأي القائل بأن كل وظيفة نفسية تتمركز في مكان معين بالقشرة الدماغية. ومبدأ تساوي الجهد أو التكافؤ الذي يرتبط أساسًا بالأنظمة الحسية كالرؤية، وهو يرتبط بالاستنتاج الذي مفاده أن بعض أجزاء النظام الواحد تتولى مهام الأجزاء الأخرى المتضررة في نفس النظام.

طوال مسيرته المهنية، واجه كارل لاشلي العديد من التحديات والخلافات. وكان من أبرز الانتقادات الموجهة لعمله القيود المنهجية لدراساته المتعلقة بالآفات. وجادل النقاد بأن منهجه يفتقر إلى الدقة ويفشل في مراعاة تعقيد وظائف الدماغ. إضافةً إلى ذلك، قوبلت نظريات لاشلي حول فعل الكتلة وتساوي الجهد بالتشكيك من قِبل مؤيدي التوطين الدقيق للوظيفة، الذين اعتقدوا أن العمليات المعرفية المحددة تقتصر على مناطق دماغية محددة.

عالج لاشلي هذه الانتقادات بتحسين تقنياته التجريبية ودمج أساليب أكثر تطورًا في أبحاثه. ورغم الجدل الدائر، وضع عمله الأساس لدراسات مستقبلية حول مرونة الدماغ والطبيعة الموزعة للوظائف الإدراكية.

لكارل لاشلي إرثٌ عميقٌ في علم النفس وعلم الأعصاب. فقد كان لأبحاثه الرائدة في الأساس العصبي للتعلم والذاكرة أثرٌ دائمٌ في هذا المجال. وقد أثّرت مفاهيم لاشلي عن فعل الكتلة وتساوي الجهد على النظريات المعاصرة لمرونة الدماغ وعلم الأعصاب الإدراكي. كما مهّد عمله الطريق للتقدم في علم النفس العصبي، لا سيما في فهم كيفية تعويض الدماغ عن الضرر وإعادة تنظيم نفسه.

حظيت مساهمات لاشلي بالعديد من الأوسمة والجوائز، وحصل على الميدالية الوطنية للعلوم عام 1964. ولا يزال عمله يُلهم الباحثين ويُسهم في تشكيل مسار البحث النفسي والعصبي.

انتُخب لاشلي في العديد من الجمعيات العلمية والفلسفية، بما في ذلك الجمعية الأمريكية لعلم النفس عضو المجلس 1926–1928؛ رئيس عام 1929(، والجمعية النفسية الشرقية) رئيس عام 1937)، وجمعية علماء النفس التجريبيين، والجمعية البريطانية لعلم النفس (زميل فخري)، والجمعية الأمريكية لعلماء الحيوان، والجمعية الأمريكية لعلماء الطبيعة (رئيس عام 1947)، والمعهد البريطاني لدراسة سلوك الحيوان (عضو فخري)، والجمعية الأمريكية لعلم الوراثة البشرية، والجمعية الفسيولوجية الأمريكية، وجمعية هارفي (عضو فخري(، والأكاديمية الوطنية للعلوم) انتخب عام 1930 .(في عام 1938، انتُخب لاشلي عضوًا في الجمعية الفلسفية الأمريكية ، وهي أقدم جمعية علمية في الولايات المتحدة، ويعود تاريخها إلى عام 1743. ومنذ عام 1957، منحت الجمعية جائزة كارل سبنسر لاشلي السنوية تقديرًا للعمل في مجال علم الأعصاب التكاملي للسلوك .في عام 1943، حصل لاشلي على ميدالية دانيال جيرو إليوت من الأكاديمية الوطنية للعلوم .

حصل لاشلي على درجة الدكتوراه الفخرية في العلوم من جامعة بيتسبرغ (1936) ، وجامعة شيكاغو(1941) ، وجامعة ويسترن ريزيرف(1951) ، وجامعة بنسلفانيا ؛ وفي عام 1953، منحته جامعة جونز هوبكنز درجة الدكتوراه الفخرية في القانون.

خارج نطاق عمله المهني، كانت حياة كارل لاشلي الشخصية غنية. كان متزوجًا من كلير وودي، وأنجبا طفلين. عُرف لاشلي بحبه للطبيعة والأنشطة الخارجية، فكان يقضي وقتًا طويلًا في المشي لمسافات طويلة واستكشاف الطبيعة. امتد اهتمامه بعلم الأحياء والعلوم الطبيعية إلى ما هو أبعد من عمله المهني، ليعكس فضوله العميق تجاه العالم من حوله.

اتسمت فلسفات لاشلي الشخصية ومعتقداته بالتزامه بالدقة العلمية وانفتاحه على الأفكار الجديدة. آمن بأهمية التعاون بين التخصصات، وعُرف بتواضعه الفكري واستعداده لمراجعة نظرياته في ضوء الأدلة الجديدة.

يُذكر كارل لاشلي كشخصية رائدة في علم النفس وعلم الأعصاب. ولا تزال مساهماته تؤثر على الأبحاث والنظريات المعاصرة ، ويُحتفى بإرثه من خلال العديد من التكريمات والجوائز.

من أعماله:

- أليات الدماغ والذكاء 1929م.
- دراسات في وظيفة المخ 1935م.
- دراسات في وظيفة المخ في التعلم 1921م.
- السيكولوجيا العصبية لدى لاشلي 1960م.

خاتمة

تركت حياة كارل لاشلي وأعماله أثرًا لا يُمحى في مجال علم النفس. وقد عززت أبحاثه الرائدة في الآليات العصبية للتعلم والذاكرة فهمنا لوظائف الدماغ وسلوكه. ورغم التحديات والخلافات

التي واجهتها، كان لنظريات لاشلي في الفعل الجماعي وتساوي الجهد تأثيرٌ دائم على علم الأعصاب وعلم النفس المعرفي المعاصرين. ولا يزال إرثه يُلهم الباحثين ويُشكل توجه البحث النفسي، مما يجعله شخصيةً محوريةً في دراسة علاقات الدماغ بالسلوك.

اشتهر لاشلي بموضوعيته العلمية، لكن نادين ويدمان Nadine Weidman حاولت فضحه كعنصري ومؤيد للحتمية الجينية. مع ذلك، نفى دونالد ديوسبري Donald A. Dewsbury وآخرون ادعاءه بأنه كان مؤيدًا للحتمية الجينية، مستشهدين بأبحاث لاشلي التي وجد فيها أدلة على تأثيرات جينية وبيئية على الكائنات الحية. مع ذلك، يعترف ديوسبري بأن لاشلي كان عنصريًا للغاية. ويستشهد بسطر من رسالة كتبها لاشلي إلى زميل ألماني جاء فيها: "من المؤسف أن البلدان الاستوائية الجميلة يسكنها الزنوج. تحية لهتلر والفصل العنصري".. هذا السطر وحده لا يترك مجالًا للنقاش حول هذه المسألة، لكنه يستشهد بغيره أيضًا.

في فبراير 1954، أثناء تدريسه في جامعة هارفارد، انهار لاشلي فجأةً ونُقل إلى المستشفى. شُخِّص بفقر الدم الانحلالي ووُضِع على علاج صارم .. بدأ هذا العلاج في النهاية يُليِّن فقرات عموده الفقري, ثم أُجريت له عملية استئصال طحال . كان لاشلي في طريقه إلى الشفاء التام حتى رحلته إلى فرنسا مع زوجته كلير، حيث انهار مرةً أخرى فجأةً، ولكن هذه المرة إلى وفاته في 7 أغسطس 1958.

أعلام ... العلم

هربرت ماركوزِه

Herbert Marcuse

هربرت ماركوزِه(1898–1979) Herbert Marcuse ، فيلسوف ومفكر أمريكي من أصل ألماني، ولد في برلين لعائلة يهودية، درس في جامعة برلين وحصل على الدكتوراه من جامعة فرايبورغ 1922، انتسب إلى معهد الدراسات الاجتماعية في فرانكفورت، وأسهم في تأسيس جماعة فرانكفورت الثقافية، مع ماكس هوركهايمر Max Horkheimer ، وثيودور أدورنو Theodor Adorno ، وكان يمثّل الجناح اليساري في هذه الجماعة، وبعد صعود الحزب الاشتراكي القومي (النازية) إلى سدة الحكم ترك ألمانيا متوجهاً إلى سويسرا، حيث مكث مدة عام واحد، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وانضم إلى معهد الدراسات الاجتماعية هناك في جامعة كولومبيا عام 1934، وقام بتدريس الفلسفة فيها وفي جامعة هارفرد وبراندیس وكاليفورنيا، واستلم عدة مناصب علمية، أهمها رئيس قسم الخدمات الاستراتيجية، من عام 1942 حتى عام 1950، وإدارة معهد الدراسات الروسية عام 1951، وكان له تأثير حاد على القيادة الطلابية في أمريكا وأوربا، وذلك لأن كتاباته جميعها تصب في نقد الرأسمالية، وتجديد الأطروحات الماركسية .

يرى ماركوزِه أن الفكر العقلاني تراجع بفعل التقدم اللاعقلاني للحضارة إلى الحالة الميثولوجية، إذ إن عناصر التضليل الأسطوري تُستخدم بصورة منهجية في الدعاية والإعلان والسياسة، حيث تمارس تأثيرها في الإنسان في حياته اليومية، في البيت والمخزن والمكتب، وتقوم بتزييف الرأي العام المذهول بالإنجازات التكنولوجية العظيمة التي تحجب لاعقلانية النظام السياسي والاقتصادي القائم.

ينتقد ماركوزِه المجتمع الصناعي الأمريكي كونه النموذج الأكثر وضوحاً في العصر الحاضر، لكن هذا الانتقاد يخرج عن الصورة التقليدية المتكررة في الخطاب الماركسي، والتي تنتقد استغلال عمل العامل من قبل رب العمل، ويتقدم بنوع آخر من الطرح يتمثّل في استعباد الإنسان بشكل آخر، خصوصاً بما يخص شركات الإنتاج الاستهلاكي والوسائل التي تستخدمها لترغيب المستهلك، ويرى مجتمع الحضارة الصناعية يسير قدماً نحو تحقيق التلاحم الداخلي واستبعاد كل شكل من أشكال التناقض والتجاوز والتعالي، ومن هنا فقد أصبح هذا المجتمع أحادي البعد؛ مجتمعاً يحيل الإنسان باستمرار إلى ذاته ويجرد كل الأفكار والآراء المعارضة له من أي معنى أو أهمية، مادام يلبي حاجات الإنسان ويرفع مستوى حياته باستمرار، ولكن هل الحاجات التي يلبيها المجتمع باستمرار هي حاجات حقيقية أم كاذبة؟ حاجات إنسانية حقاً أم حاجات مصطنعة؟ إنها – في رأيه – حاجات وهمية من صنع الدعاية والإعلان ووسائل الاتصال الجماهيري، وهي أفضل وسيلة لخلق الإنسان ذي البعد الواحد في مجتمع ذي بعد واحد، هذا الإنسان كما يرى ماركوزِه استغنى عن الحرية، لأن المجتمع ذا البعد الواحد يقوم بتزييف وعي الفرد باستبداله بالرقابة الخارجية المفروضة من الأعلى، بنوع من الرقابة الداخلية المستبطنة.

وكان ماركوزِه يرى أن عالم الحضارة الصناعية المتقدمة، هو عالم استبدادي يملك القدرة على وأد أي محاولة لمعارضته ونفيه، وعلى تمييع وتذويب ودمج القوى الاجتماعية التي يمكن أن تعارضه، وعلى استنفار وتعبئة جميع طاقات الإنسان الجسدية والروحية، وجميع القوى الاجتماعية التي من شأنها الدفاع عنه وحمايته. وأن الآلة نفسها تقوم بدور سياسي بارز في المجتمع التكنولوجي، حيث أصبح كل شيء بضاعة تباع وتُشرى، حتى الفن الأدب والموسيقى وأشكال الفن الأخرى أصبحت ضمن المشروعات التجارية الرابحة لرجال الأعمال، وكذلك الجنس الذي طالما كان يُعدّ تعبيراً خالصاً عن خصوصية الإنسان وارتباطه بالطبيعة استبدل بما يسمى الواقعية الجنسية، واقتصر على أن يكون عبارة عن رغبة تتطلب التلبية على نحو سريع وواقعي ومباشر، وحتى اللغة أصبحت أحادية الجانب تستبعد من تراكيبها ومفرداتها جميع الأفكار النقدية المتعالية، لغة مقفلة منغلقة على ذاتها.

وماركوزِه لايرفض التكنولوجيا كإنجاز حضاري إنساني، بل يؤمن إيماناً عميقاً بأن منجزات التكنولوجيا قد أوجدت لأول مرة في التاريخ الإمكانية الواقعية لتحرر الإنسان، إن ماركوزِه يعدّ تحرر الإنسان الغاية الأخيرة والمثلى، ويؤمن بأن تحرر الإنسان لم يعد غاية ميتافيزيقية بعد أن قطعت التكنولوجيا شوطاً بعيداً

في السيطرة على الطبيعة، والشرط الأساسي لتجاوز الواقع التكنولوجي الراهن هو تحقق المشروع التكنولوجي واكتمال صيرورته كواقع يجب أن يتحقق ويُكمل جبروته، والعقلانية الجديدة هي عقلانية الإنسان المتحرر من شتى أنواع السيطرة، ولن يتحرر الإنسان من التكنولوجيا إلا بوساطة التكنولوجيا نفسها، وعن طريق تحرير التكنولوجيا، لأن التكنولوجيا هي سياسة قبل أي شيء آخر، وهي سياسة لأن منطقها هو منطق السيطرة، تخدم مصالح القوى الاجتماعية المسيطرة في الوقت الراهن.

ولا يرى ماركوزِه أن الطبقة العاملة هي عامل التغير الاجتماعي لأن التغير سيتم عن طريق تلك القوى التي أخفق المجتمع الصناعي في دمجها؛ هؤلاء المنبوذين واللامنتمين، والعاطلين عن العمل، والطبقات والأعراف والألوان الأخرى المستغلة، فالتغير ضرورة وهو بآن واحد ممكن حقاً.

أهم مؤلفاته: «العقل والثورة(1941) Raison et révolution »، »غريزة الحب والحضارة Éros et civilisation (1955)، »الإنسان ذو البعد الواحد(1964) L'Homme unidimensionnel «، »الفلسفة والثورة.(1968) Philosophie et révolution «

ملخص..

تتمحور نظرية هربرت ماركوز الرئيسية حول نقده الجذري للمجتمع الصناعي المتقدم، الذي أسماه "مجتمع البعد الواحد". يرى ماركوز أن هذا المجتمع، سواء في شكله الرأسمالي الغربي أو الشيوعي السوفيتي، قد نجح في قمع الفرد ودمجه بالكامل في نظام الإنتاج والاستهلاك .

استخدم ماركوز أدوات التحليل النفسي الفرويدي والماركسية ليكشف كيف أن التقدم التقني والوفرة المادية لم يؤديا إلى التحرر، بل إلى شكل جديد أكثر دهاءً من السيطرة. فمن خلال خلق احتياجات زائفة وتلبيتها عبر وسائل الإعلام والإعلان، يتم إرضاء الأفراد بشكل سطحي وإخماد أي نزعة نقدية أو ثورية لديهم .

وهكذا، يفقد الإنسان قدرته على التفكير النقدي المستقل ويصبح ذا "بعد واحد"، منصهراً بالكامل في النظام القائم. لم يعد الصراع الطبقي التقليدي هو المحرك الأساسي للتغيير، بل إن القوى الثورية الجديدة، في نظر ماركوز، قد تظهر من الفئات المهمشة والمستبعدة من هذا النظام، مثل الطلاب والأقليات والمثقفين الذين لم يتم استيعابهم بالكامل.

أهم الإنجازات والمؤلفات

من أبرز إنجازاته الفكرية كتاب "العقل والثورة" (1941) الذي قدم فيه قراءة جديدة لهيغل، وكتاب "الحب والحضارة" (1955) الذي حاول فيه التوفيق بين أفكار فرويد وماركس، وكتابه الأكثر شهرة "الإنسان ذو البعد الواحد" (1964) الذي انتقد فيه المجتمعات الصناعية المتقدمة، سواء كانت رأسمالية أم شيوعية.

توفي بسكتة دماغية في أثناء زيارته لألمانيا برفقة يورغن هابيرمس .Jürgen Habermas

أعلام ... "النون"

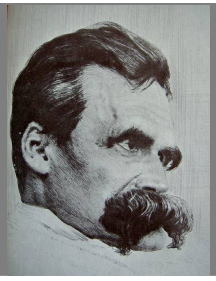

فريدريك نيتشه

Friedrich Nietzche

فريدريك نيتشه ***Friedrich Nietzche*** (1844– 1900) فيلسوف ألماني، وناقد ثقافي، شاعر وملحن ولغوي وباحث في اللاتينية واليونانية. كان لعمله تأثير عميق على الفلسفة الغربية وتاريخ الفكر الحديث..ويشار اليه بأنه فيلسوف إرادة القوة، وكان لفلسفته تأثير كبير على التحليل النفسي وعلم النفس الوجودي، فقد مجّد الغريزة باعتبارها قوة تجدد لا تتناهى، ومصدراً لكل إبداع وكل وحي وكل حماس، وفلسفته في الإنسان السوبر مان تؤكد سيكولوجية التفوق. ونيتشه على المستوى النفسي جدّد الكثير من الأفكار حول الإنسانية، واكتشف اللا شعور ووسع في مفهومه باعتباره من محددات السلوك، ونبه إلى اللا معقول في كثير من القيم النفسية، وكان أسبق من فرويد ***Sigmund Freud*** (1939–1956) في التوصل إلى مفاهيم كثيرة نفسية حول الثقافة والدين والمحرم والمحلل واللذة والألم والجنس والشعور واللا شعور والأنا والإرادة والحتمية ومعنى الحياة، وفرويد مدين له بالكثير من هذه المفاهيم. ويورد أرنست جونز ***Ernest Jones*** (1879–1959) في كتابه عن فرويد خطاباً أرسله إليه وهو في الثامنة والسبعين يدور حول نيتشه ويعترف فيه فرويد صراحة بأثر نيتشه عليه فكرياً واعتقاداً ونفسياً، فلولا نيتشه ما كان إصراره وجهاده ونضاله من أجل تأكيد ذاته، ونيتشه هو الذي وجهه وجهته الخاصة في تقييمه للحب والحرب والموت، وهو الذي نبهه إلى التسامي بالغرائز، وكشف له الأنانية والعدوانية خلف الكثير من المعاني.

واعتبر نيتشه الضمير مسؤولاً عن القمع والكبت ومشاعر الذنب، وقال إن الحضارة دفع إليها الكبت للغرائز والتربية التي تحض على معاندة كل ما هو غريزي، ويستخدم نيتشه اصطلاح (الهو) الذي قال به فرويد، ويقصد به مجموع الدوافع الغريزية اللا معقولة التي تصطرع داخلنا دون أن نعيها. ويستخدم آدلر كذلك مفهوم إرادة القوة والاصطراع على الحياة بعد تعديله. ونيتشه بمفهوم آدلر ***Alfred Adler*** (1870–1937) نموذج لما يمكن أن تصنعه إرادة التفوق وعقدة النقص في الإنسان.

وكان نيتشه يشكو آلاماً مبرحة بالرأس والعينين والمعدة، فكان المرض شاحن لإرادته، يستحث شجاعته، ويدفع به إلى تأكيد ذاته، ويصف نيتشه ذلك فيقول لم يستطيع أي ألم ولا ينبغي أن يحملني على تزييف الحياة فأروي فيها ما ليس فيه.. وكان يتقبل الألم كرياضة نفسية، وينكر على المريض أن يكره الحياة بسبب المرض ويقول: إن حياتي عبء ثقيل، ولو لم أكتشف أني في المرض قد صفت نفسي وعقلي، فأصبحت أرتاد خبرات تزيد نفسي إرهافاً، وتسمو بي أخلاقياً، وتشحذ تفكيري، فأتوق إلى أن أكتب وأنتصر على آلامي بأعمال باهرة.

يُعد نيتشه من أهم فلاسفة أوروبا في العصر الحديث؛ حيث ظلت أفكاره تُغذي التيارات السياسية والفكرية والاقتصادية والأخلاقية حتى الآن، كما امتد تأثيره إلى عدد من مفكري الشرق أمثال؛ «فرح أنطون»، و«مرقص فرج»، و«سلامة موسى» الذين تبنوا رؤيته الفلسفية.

ولد فريدريك فيلهيلم نيتشه في 15 أكتوبر 1844 ببلدة «روكن» الألمانية، لوالدة «بولونية» الأصل، وكان والده قسيسًا بإحدى الكنائس البروتستانتية، وكان أيضًا مربيًا للعديد من أبناء الأسرة المالكة في «بروسيا». وقد سماه «فريدريك» لأنه وُلد في نفس يوم ميلاد ملك بروسيا «فريدريك الكبير». توفي والده وهو في سن الخامسة عشرة. التحق بمدرسة «نورمبورغ»، ثم انتقل منها إلى جامعة «بون» عام 1864؛ حيث درس اللاهوت، وفقه اللغات الكلاسيكية. التحق بعد ذلك بالخدمة العسكرية في الجيش الألماني، وهناك أصيب جراء سقوطه عن جواده؛ فأُعفي من الخدمة. كان دنجوان ولم يتزوج. وعُين أستاذًا بجامعة «ليبتسغ».

يعتبر نيتشه من أعمدة النزعة الفردية، التي أعطت أهمية كبيرة للفرد واعتبرت أن المجتمع موجود ليخدم وينتج أفرادًا متميزين. وتعتبر فلسفته إحدى المرايا التي عكست تغيرات الواقع في مختلف مجالاته. وقد تأثر بالعديد من الفلاسفة والفنانين منهم؛ الفيلسوف «شوبنهور»، والموسيقي «فاغنر».

أنتج أعمالًا فلسفية عدة؛ من أهمها: «ما وراء الخير والشر»، و«هكذا تكلم زرادشت» — الذي قال عنه نيتشه إنه إنجيله الشخصي — و«هو ذا الإنسان». وقد دعا في كتبه إلى عدة مبادئ منها؛ قوله بـ «موت الإله»، وربما لم يكن يقصد منها الإلحاد بقدر ما قصد الدعوة إلى تحطيم ما هو ثابت. كما دعا إلى أن يعتمد الإنسان على نفسه، ومن هنا أتت دعوته الثانية لتحطيم الأخلاق المسيحية التي أطلق عليها «أخلاق العبيد». في المقابل كان يدعو لـ «أخلاق السادة» المعتمدة على مبدأ القوة، والمستمدة من الحضارة الرومانية. كذلك تبنى فكرة «الإنسان المتفوق» أو «السوبرمان» الذي يحقق كل شيء بالإرادة والتفكير والقوة. كما قال أن الحياة دورات، وأننا سنحيا مثل حياتنا في دورة أخرى.

كانت حياته سلسة متواصلة من المرض؛ اذ أصيب «بالزهرى» وظل يعاني منه حتى أصيب بالجنون عام 1889. وتوفي في 25 أغسطس 1900، ودفن في مسقط رأسه.

ونيتشه تعلم بجامعتي بون ولايبتسغ، وعلم بجامعة بازل، وأصيب بالجنون وأقام في مستشفيات بازل وبينا. وتحليله النفسي لأخلاق السادة وأخلاق العبيد من أروع الصفحات التي دونها يراع محلل نفسي، ويرد فيها نشأة الأخلاق إلى أسباب نفسية متصلة بالتكوين النفسي للأفراد، ومن ثم فأحكام الأخلاق تقع على الأفراد وليس على أفعالهم، ويقول بنمطين من الشخصية، النمط الأرستقراطي المعتز بالقوة، الذي يحتقر الضعف والضعة والاستجداء، ويبغض الكذب والنفاق والملق، ولا يعرف المساومة والمداهنة وأنصاف الحلول، ولا يهتم بالملذات ولا بالسلام والطمأنينة؛ ونمط العبد، الضعيف، المستجدي، المسالم، الوديع، المتواضع، الذي لا يرغب في سيادة، ولا مطمع له في فضيلة، العطوف، الودود، المحب للخير. والنمط الأول يريد أن يعلو بالحياة ويجعلها خصبة مليئة، والثاني متشائم ينظر إلى الحياة بخوف وجزع وشك. والأول إذ يصنف الناس فبحسب مهاراتهم، فهم إما من النوع (الجيد) أو (الرديء) ، والثاني يصنفهم إلى (الخيّر) و (الشرير)، ومصدر هذه السمات أو الصفات أو الأخلاقيات كلها، سواء عند هؤلاء أو أولئك، هو الشعور بالقوة أو بالضعف، والقوة تدفع بصاحبها القوي إلى الحركة والزيادة من كل شيء، والضعف يدفع إلى الانحطاط للأرض والانعزال والاستسلام. ولا يملك المسود الضعيف إلا أن يحقد، وأخلاق المسودين الضعفاء مصدرها هذا الحقد *ressentiment*، وهو الشعور السابق بإساءة لم يستطيع المُساء إليه أن يردها في حينها، فكبت مشاعره، وتظل تغلي به وتأكله إلى أن تحين الفرصة فيثور وينتقم، وثورة العبيد سلبية، وثورتهم تصدر عن أحط المشاعر، في حين أن السادة يصدرون في حركتهم في الحياة عن توكيد لذواتهم.

وبعد أن يحطم نيتشه أصنام الأخلاق ويضع قواعد نفسية لأخلاق جديدة، يتحول إلى أصنام التفكير، فقواعد التفكير أوهام نافعة للحياة ولكنها غير ضرورية، والعقل لا حاجة للإنسان إليه، لأن عدم معقولية الشيء ليست حجة ضد وجوده، والعقل غير ممكن لأنه توجد عقول كثيرة وليس عقل واحد، والعقل الكلي الذي قال به الفلاسفة خرافة لا وجود لها، والوجود الثابت خرافة، والآخرة خرافة، ولا يوجد شيء اسمه الباطن فالأشياء كما تظهر لنا.

وتقوم السيكولوجية النيتشية على مقولة إرادة القوة، فالخير هو كل ما يعلو في الإنسان بشعور القوة وإرادة القوة، والشر كل ما يصدر عن ضعف، والسعادة هي الشعور بأن القوة تنمو وتزيد. والضعفاء العجزة ينبغي أن يفنوا، والشفقة على الضعفاء أول الرذائل، والاستزادة في القوة غاية ترتجى لا الرضا بالواقع، والحرب مطلب الأقوياء لا السلام، والمهارة والشطارة لا الفضيلة هما مطلب النبلاء، والحياة كفاح وسيطرة، وإرادة القوة هي مقياس القيم، والسعادة أو المنفعة أو اللذة غايات هينة لا تستحق ما يُبذل من أجلها، وإنما القيم التي ينبغي الإعلاء من شأنها هي التي ترفع مستوى الإنسانية وترتقي بالإنسان في سلم الكمالات، والإنسان الحالي وسيلة إلى خلق نوع أرفع وأسمى هو الإنسان الأعلى أو السوبرمان الذي يعيش في خطر، غرائز الرجولة والنضال وحب الظفر لها السيادة عنده على أية غرائز كغريزة السعادة وما إليها.

وهذه الأفكار التي تشكل علم نفس قائم بذاته عند نيتشه، قد نثرها في كتبه جميعها، إلا أن أهمها اتصالاً بموضوعنا هي "إنساني إنساني جداً *Menschliches Allzumenschliches*" (1878)، و "هكذا تحدث زرادشت *Also Sprac Zarathustra*" (1883)، و "عدو المسيح *Der Antichrist*" (1902)، و "هذا هو الإنسان *Ecce Home*" (1908).

يبقى نيتشه شخصية اشكالية وفيلسوفاً عصياً على القولبة، نظراً للأبعاد الرمزية التي تحتملها نصوصه، والغموض الكبير في فلسفته والتناقض اللغوي الحاد في كثير من عبارات ذاك الفيلسوف الملحد الذي يوصف بأنه «ملأ الدينا وشغل الناس».

ويعُدّ كتابه «هكذا تكلم زرادشت» من عيون الأدب العالمي، ومن أبلغ ما كتب في مجال الفلسفة، ألّفه بأسلوب شعري تكّون من صور جياشة شابهت صور المفكرين الرومنسيين، وتغنى فيه بقيم الحياة على حساب قيم المعرفة. وكان مطمع نيتشه أن يكون كتابه بديلاً من الكتاب المقدس وبشارة بالأزمنة الجديدة. فالثقافة الحديثة بحاجة لأن تؤسس على قيم غير تلك التي تلهم المسيحية ومذاهب التشاؤم والعقلانية

والأخلاقية والاشتراكية. وزرادشت البطل الذي بشر به نيتشه هو الإنسان القوي الذي يحطم ألواح القيم القديمة ويستبدل بها بأخرى جديدة تبعاً لمبدأ إرادة القوة الذي وجد فيه نيتشه مفتاح أسرار الحياة كلها؛ لأن الحياة ليست غريزة وجود النوع وبقائه فليس صحيحاً أن الكائنات تتوق إلى البقاء، وأن الحياة إرادة حياة كما يقول شوبنهور، وإنما الحياة تتوق إلى الازدهار والانتشار والغزو، فهي إرادة قوة وليست إرادة حياة. فلابد للفرد من أن ينتصر على نفسه وأن يثري نفسه بالعلم والفلسفة وأن يسيطر على الطبيعة، ويعبر عن انتصاراته بالفن.

أعلام .. "الحكماء"

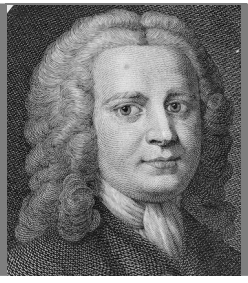

ديفيد هارتلي

David Hartley

ديفيد هارتلي ***David Hartley*** (1705– 1757) فيلسوف وعالم نفس انكليزي, يعتبر أبو علم النفس البريطاني، ومؤسس المدرسة الترابطية *associanism* (تُفسر هذه الطريقة في التفكير بكيفية ترابط أفكارنا وخواطرنا في عقولنا). و أهم كتبه (البعض ذكر انه كتابه الوحيد وهذا غير دقيق) هو "ملاحظات عن الإنسان: تكوينه وواجباته وتوقعاته *Obserations on Man: His Frame, His Duty and His Expectation*" (1749) يجمع فيه بين الفلسفة وعلم النفس والفزيولوجيا والفيزياء والتشريح والطب. ولم تكن للكتاب أهمية حين نشره، إلا أن ما ورد به عن الترابطية جعل جمهور المثقفين يراجعون فيه نظرهم، ويقرأونه من جديد، وبتوجهات جديدة، ويكتشفون فيه جانبه الفلسفي النفساني والمذهب الذي يبشر به، ويجدون له أهمية لم تكن له من قبل.

وهارتلي في هذا الكتاب يستخدم مصطلح علم النفس الاستخدام العصري له. وللكتاب تأثيره البالغ على المدرسة الأمبيريقة الإنكليزية في القرن التاسع عشر، وخاصة على كتابات مل الأب والابن (جيمس مل *James Mill* (1773– 1836) الأب، وجون ستيوارت مل *John Stuart Mill* (1806–1873) الابن) ، وألكسندر بين *Alexander Bain* (1818–1903) وريبو Théodule Armand Ferdinand Constant Ribot (1839–1916). ويناقش هارتلي في كتابه الظواهر النفسية من وجهة نظر سلوكية فزيولوجية.

ونظريته الترابطية يستعيرها من الفيلسوف لوث Johann Carl Loth (1632–1658) في كتابه "مقال عن الفهم الإنساني" (1690)، ومن مقدمة جون جاي John Jay لكتاب وليام كينغ William King "مقال عن أصل الشر" (1702)، فقد جاء في كتاب لوك John Locke (1632–1702) فصل كامل عن "ترابط الأفكار"، كما جاء في مقدمة جاي تفسير للترابط أوسع مما عند لوك، حيث ناقش لوك الترابط في مجال الأفكار وحدها، وأما جاي فقد جعل الترابط مبدأً عاماً يتخلل كل الظواهر، وجعله هارتلي أوسع وأبعد من ذلك، وناقش ظاهرة الترابط كأساس للظواهر الاجتماعية والنفسية والعقلية والفزيولوجية. وأيضاً فإن هارتلي أخذ نظريته الفزيولوجية في الترابط من نيوتن Isaac Newton (1642–1727)، ولكن نيوتن يرى أن الإحساس البصري يتولد نتيجة اهتزازات على أعصاب الحس تنقلها الأعصاب إلى المخ، فقال هارتلي بأن كل الخبرة البشرية تقوم على أساس حسي في شكل اهتزازات تنقلها الأعصاب المختصة إلى الدماغ فيكون إدراكها، وأن هذه الميكانيزمات هي التي تحكم السلوك الظاهر والخفي، ابتداءً من الأفعال الانعكاسية كالتنفس والهضم، وانتهاءً بالأفكار العقلية والمشاعر النفسية، ويستوي في ذلك الإنسان والحيوان. وتراكم الاهتزازات يتسبب في تراكم الانطباعات على المخ، كحروف الأبجدية التي تأتلف في مجموعات وتكوّن الكلمات، التي تأتلف بدورها وتكوّن العبارات، وكذلك الاهتزازات الحسية تأتلف وتتكون بها الإحساسات المركبة. والتفكير يتكوّن من هذه الإحساسات المركبة وبمثل ذلك تتكون العادات، وتتحصل المعاني، وحتى الخبرة الدينية، هي في أساسها إحساسات من نوع واحد، تقترم ببعضها وتترابط وتتكون منها الأفكار الدينية. وكذلك الانفعالات، والتذكر، والتخيل. وكل الوظائف النفسية أساسها هذه الإحساسات المقترنة والمترابطة.

وهارتلي كأغلب علماء النفس القدامى، كان تعليمه دينياً. وكان يُعدّ نفسه أصلاً ليكون قسيساً، إلا أن اتجاهاته الفلسفية والعلمية نأت به عن التخصص الديني إلى تخصص طبي فلسفي. وكانت دراسته الطبية بكمبردغ. ولم تتخل عنه ميوله الدينية، واستخدم علم النفس في تفسير الخبرة الدينية في كتابه الآنف، تفسيراً يصدر عن متخصص. وهذا الجانب من الكتاب يكاد يكون أساساً لعلم نفس ديني ينفرد به هارتلي.

وُلِد هارتلي عام 1705 بالقرب من Halifax ، إنجلترا. توفيت والدته وهو صغير جدًا، وتوفي والده، عندما كان في الخامسة عشرة من عمره.ذهب إلى مدرسة برادفورد للقواعد ثم إلى كلية جيسوس، كامبريدغ في عام 1722. حصل على شهادته الأولى في عام 1726 ودرجة الماجستير في عام 1729.

وفي عام 1730، أصبح هارتلي أول رجل دين يُدرّس في مدرسة ماغنوس النحوية، وبدأ العمل طبيبًا هناك.

في كامبريدغ، درس هارتلي مع نيكولاس ساندرسون Nicholas Saunderson (1682–1739) ، أستاذ رياضيات لامع كان كفيفًا. ساعد هارتلي في نشر كتاب ساندرسون في الرياضيات بعد وفاته.

قرر هارتلي عدم تولي منصب في الكنيسة لأنه لم يكن موافقًا على جميع قواعد كنيسة إنكلترا. على سبيل المثال، كان يؤمن بأن الجميع سيجدون السعادة في النهاية، وأن العقاب الأبدي ليس عادلًا. ورأى أن "السعادة الشاملة هي العقيدة الأساسية للعقل والكتاب المقدس."

كان يؤمن أيضًا بأن مساعدة الآخرين هي أفضل سبيل للسعادة. وقد أرشدته هذه الفكرة في حياته. فقد دعم مشاريع مثل نشر كتاب ساندرسون والترويج لنظام اختزال اعتقد أنه سيساعد الناس على التواصل بشكل أفضل.

بصفته طبيبًا، أصبح هارتلي مؤيدًا قويًا للتطعيم Variolation ضد الجدري. كانت هذه طريقةً مبكرةً لحماية الناس من الجدري بإعطائهم شكلًا خفيفًا من المرض. كانت محفوفة بالمخاطر، لكنها كانت قادرةً على منع مرضٍ أشد خطورة. كتب هارتلي بحثًا في عام 1733، يشرح فيه فوائد هذه الممارسة للأفراد والمجتمع. واشتهر بين أطباء وشخصيات مرموقة، منهم أعضاء الجمعية الملكية . كما أصبح طبيبًا لدوق نيوكاسل.

عانى هارتلي من (حصيات المثانة). كان يعتقد أن خبيرة أعشاب تُدعى جوانا ستيفنز لديها دواء يُذيب هذه الحصوات. نشر كتابًا عام 1783 يروي فيه حالات أشخاص تناولوا دوائها، بما في ذلك تجربته المؤلمة.

لجعل هذا الدواء متاحًا للجميع، أقنع هارتلي الحكومة بدفع المال لستيفنز مقابل وصفتها السرية. ثم عمل مع العالم ستيفن هيلز Stephen Hales (1677–1761)، لمعرفة كيفية عمل الدواء. ووجدا أنه يحتوي على الجير المطفأ ونوع من الصابون. وأدركا أن هذه المكونات تجعل بول الشخص قلويًا، مما يساعد على إذابة الحصوات. نُشرت نتائجهما في كتاب لاتيني عام 1740. وفي باث، واصل هارتلي ممارسته الطبية، وعمل على أهم كتاب له، "ملاحظات حول الإنسان".

في القرن 18، كانت كلمة "ملاحظات" في عنوان الكتاب تعني أنه عمل علمي. قال صديق هارتلي، جوزيف بريستليJoseph Priestley (1733–1804) ، إن كتاب هارتلي "علم جديد وشامل للغاية". كان هذا العلم الجديد يدور حول فهم "الإنسان". الكتاب زاخرٌ بملاحظاتٍ متنوعة. بصفته طبيبًا، كتب هارتلي عن أمورٍ مثل الأطراف الوهمية (عندما يشعر شخصٌ ما بوجود طرفٍ غير موجود)، ومتلازمة الموهوب (عندما يمتلك شخصٌ ما قدراتٍ ذهنيةً مذهلة)، وكيف يختبر المكفوفون والصم العالم.

اعتقد هارتلي أن هناك قانونًا رئيسيًا واحدًا يفسر كل شيء عن الناس: "الارتباط". ورأى أن جميع ملاحظاته تُبيّن آلية عمل هذا القانون. على سبيل المثال، شرح كيف أن الطفل الذي يتعرض للتنمر قد يكبر ليصبح متنمرًا هو الآخر. وأوضح كيف يمكن لأفعال الطفل الدفاعية أن تتحول مع مرور الوقت إلى أفعال عدوانية عندما يكبر. مع ذلك، كان هارتلي متفائلاً للغاية. كان يؤمن بأن التواصل يُمكّن الناس من التغيّر نحو الأفضل وأن يصبحوا أكثر سعادة. كان يرى في كتابه قصةً عن كيفية تحسين كل شخص لحياته.

على غرار جون لوك John Locke (1632–1704)، اعتقد هارتلي أن عقولنا عند الولادة تكون كصفحة بيضاء blank slate . هذا يعني أننا لا نملك أي أفكار بعد. جميع أفكارنا ومشاعرنا تنبع من تجاربنا وأحاسيسنا. ركز هارتلي على قاعدة رئيسية واحدة لنمو عقولنا: قانون التجاور. هذا يعني أن الأفكار التي تتوالى معًا، إما في الوقت نفسه أو واحدة تلو الأخرى، تصبح مترابطة في عقولنا.

اعتقد هارتلي أنه عندما نشعر بشيء ما، تهتز أجزاء صغيرة من أعصابنا ودماغنا. تخيّل "أثيرًا" خاصًا غير مرئي يُساعد على حدوث هذه الاهتزازات. كان يعتقد أن المشاعر الممتعة تنبع من اهتزازات خفيفة، وأن الألم ينبع من اهتزازات قوية جدًا تُؤذي الأعصاب. تترك هذه الاهتزازات آثارًا خافتة في الدماغ، أطلق عليها اسم "الاهتزازات". هذه الاهتزازات الخافتة هي التي نتذكر بها الأشياء.

أوضح هارتلي أن أدمغتنا تهتز باستمرار بسبب حرارة الجسم وتدفق الدم. ويعتمد نوع الاهتزازات على تجاربنا السابقة. فعندما تتزامن الأحاسيس غالبًا، تصبح مترابطة. على سبيل المثال، إذا كنت تسمع أغنية معينة عند تناول طعام معين، فإن مجرد سماع الأغنية قد يجعلك تفكر في هذا الطعام. أحيانًا، تصبح هذه الأفكار المترابطة قوية جدًا لدرجة أنها تبدو وكأنها فكرة جديدة.

فكّر هارتلي أيضًا في مدى امتلاك الناس للإرادة الحرة Free will . كان يعتقد أن أفعالنا ناتجة عن روابط قوية بين أفكارنا وحركاتنا. ولذلك، اعتقد أن خياراتنا تُحددها تجاربنا الماضية والوضع الراهن. وقد توصل إلى هذا الاستنتاج بعد تفكير طويل، لأنه يتوافق مع نظرياته حول آلية عمل العقل.

الكتب الرئيسية لديفيد هارتلي:

- Conjecturae quaedam de sensu, motu, et idearum Generatione كان هذا عملاً لاتينيًا حول كيفية إحساسنا بالأفكار وتحريكها وتشكيلها(1746)
- "ملاحظات عن الإنسان: تكوينه وواجباته وتوقعاته Obserations on Man: His Frame, His Duty and His Expectation" (1749) أشهر أعماله، والذي يشرح فيه أفكاره حول الطبيعة البشرية والعقل.
- الصلاة والتأملات الدينية (1749)
- مجموعة من صلواته وأفكاره حول الدين(1810)
- كتب هارتلي أيضًا العديد من الكتب والأوراق البحثية حول الطب.

أعلام ... "الواو"

مارغريت واشبرن

Margaret Washburn

مارغريت واشبرن ***Margaret Washburn*** (1871– 1939) من قلائل النساء اللاتي درسن علم النفس في ذاك الوقت المبكر من تاريخه، وتميزن في مجاله بالإنتاج العلمي الغزير والرائد. تدرجت في المناصب الجامعية حتى درجة الأستاذ، ورأست معمل علم النفس التابع لكلية فاسار، وأشرفت على ثمانية وستين بحثاً خلال رئاستها من سنة 1905 حتى سنة 1938، ولها واحد وستون مقالاً نشرتها في المجلات العلمية المتخصصة، واشتهرت في بعضها بمحاولاتها التوفيق بين الاتجاه الاستبطاني والاتجاه السلوكي وهما جناحا الإحراج النفسي الأميركي في زمانها.

وتنتمي واشبرن للجيل الثاني من علماء النفس الأميركيين الذين تتلمذوا على أساتذة كبار تلقوا علومهم النفسية في ألمانيا، وعملوا تحت إشراف فونت *Wilhelm Wundt* (1832–1920) مؤسس علم النفس التجريبي، وتلقوا تدريبهم في معمله المشهور بلايبتسغ. ودرست واشبرن بجامعة كورنل، ورأسها تتشنر تلميذ فونت، وأشرف على رسالتها للدكتوراه (1894)، واختيرت لرئاسة رابطة علماء النفس الأميركيين (1921)، ونائبة الرئيس لجماعة التقدم العلمي الأميركية (1927)، وعضواً بجمعية علماء النفس التجريبيين (1929) خلفاً لتتشنر، وكانت ثاني امرأة تختار لعضوية الأكاديمية القومية للعلوم.

وتشتهر واشبرن بكتابها المرجع الجامع لكل ما تم تصنيفه من كتب في موضوع علم نفس الحيوان، والذي ظل لمدة ثلاثين عاماً أو نحوها المرجع الوحيد لطلاب علم النفس المقارن، والباحثين فيه والأساتذة على السواء، وأعطته عنوان "عقل الحيوان *The Animal Mind*"، وتكررت طباعته ابتداءً من عام 1908 حتى عام 1938.

وُلدت مارغريت فلوي واشبورن، الابنة الوحيدة لوالديها فرانسيس واشبورن وإليزابيث فلوي ديفيس، في مدينة نيويورك في 25 يوليو 1871. كان والدها رجل أعمال قبل أن يقرر الالتحاق بالخدمة الدينية في الكنيسة الأسقفية، بينما بقيت والدتها في المنزل ربة منزل ومربية لطفلتهما. لم تكن الأمور المالية تشكل عائقًا كبيرًا للعائلة، إذ كانت والدة واشبورن تنتمي إلى عائلة ثرية. تلقت تعليمها الابتدائي في مدارس خاصة وعامة، وتخرجت من المدرسة الثانوية عام 1886 عن عمر يناهز 15 عامًا ..

لاحقًا, التحقت واشبورن بكلية فاسار في بوكيبسي، نيويورك، حيث برعت في مجالات عديدة، منها الكيمياء والفرنسية والشعر والفلسفة وعلم الأحياء واليونانية. بعد تخرجها من فاسار عام 1891، وجدت نفسها مفتونة بالفلسفة والعلوم على حد سواء، مما قادها إلى مختبر علم النفس الذي أُنشئ حديثًا في جامعة كولومبيا.

حضرت المحاضرات في كولومبيا بصفتها "مستمعة"، أي أنها لم يكن مسموح لها حضور المحاضرات الآ كمراقبة، نظرًا لندرة قبول النساء في برامج الدراسات العليا في ذلك الوقت.. لاحقًا، التحقت بمدرسة سيغ للفلسفة في جامعة كورنيل مع عالم النفس التجريبي إدوارد ب. تيتشنر *Edward Bradford Titchener* (1867–1927). في عام 1894، نالت واشبورن لقب أول امرأة في الولايات المتحدة تحصل على درجة الدكتوراه في علم النفس.

بدأت واشبورن مسيرتها المهنية بالتدريس في عدد من الكليات. فمن عام 1894 إلى عام 1900، درّست الفلسفة وعلم النفس في كلية ويلز، وكانت تسافر باستمرار إلى جامعة كورنيل لمتابعة آخر المستجدات والأحداث والشخصيات التي ساهمت في ترسيخ مكانة كورنيل كمركزٍ رائدٍ في علم النفس. بعد ذلك بفترة وجيزة، أصبحت واشبورن عميدةً لكلية سيغ، مما أهّلها لاحقًا لتعيينها محاضرةً في دوراتٍ متخصصة، مثل علم النفس الاجتماعي وعلم نفس الحيوان.أمضت واشبورن فترةً قصيرةً في جامعة سينسيناتي قبل أن تعود إلى كلية فاسار عام 1903 كأستاذةٍ مشاركةٍ في الفلسفة، حيث بقيت حتى نهاية مسيرتها المهنية.

بفضل خبرتها الواسعة في سلوك الحيوان، لم يكن من المستغرب أن تكون واشبورن قد ألّفت كتابًا في علم النفس المقارن بعنوان "عقل الحيوان" (1908)، بالإضافة إلى رواية عن نظريتها الحركية للوعي بعنوان "الحركة والتصور الذهني" (1916). وفي الأعداد الأولى من "المجلة الأمريكية لعلم النفس"، شاركت واشبورن في تحريرها، وحازت على مكانة بين أفضل 50 عالم نفس في البلاد. ومن المثير للاهتمام أن واشبورن لم تتزوج قط، لأنها عاشت في عصر لم يكن يُسمح فيه للمرأة بالجمع بين دوري المعلمة والزوجة أو الأم.

عُرفت واشبورن بشخصيتها القوية وحسها الفكاهي اللاذع، إلى جانب حساسيتها لمشاعر الآخرين. وإلى جانب عملها في علم النفس، استمتعت واشبورن بأنشطة متنوعة كالعزف على البيانو والغناء والرقص والرسم الزيتي. كانت واشبورن مولعة بالقطط، لكنها كانت مفتونة أيضاً بالحيوانات الأخرى، وهو ما يُفسر على الأرجح اهتمامها بنشر أعمال في علم نفس الحيوان.

تعرضت واشبورن في عام 1937 لسكتة دماغية، ما أدى إلى تقاعدها (بمنصب أستاذ فخري في علم النفس). لم تتعافَ تمامًا وماتت في منزلها في بوكيبسي، نيويورك في 29 أكتوبر 1939. لم تتزوج مطلقًا، واختارت بدلًا من ذلك أن تكرس نفسها لحياتها المهنية ورعاية والديها.

كما ذكرت سابقاً، كان من أبرز إنجازات واشبورن حصولها على درجة الدكتوراه في علم النفس الأمريكي (من جامعة كورنيل)، ورئاستها للجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) لتكون أول امرأة تحصل على هذه الدرجة. ورغم أنها لم تكن أول امرأة تُكمل برنامج الدكتوراه في الجامعة، إلا أنها كانت أول امرأة تُمنح درجة علمية في علم النفس. تُعدّ هذه الإنجازات بالغة الأهمية في مجال علم النفس، إذ مهّدت الطريق أمام نساء أخريات للالتحاق بالجامعات وإكمال برامج الدراسات العليا. كما أثبتت قدرة المرأة على شغل مناصب رفيعة في الجمعيات النفسية.

نشرت واشبورن أيضًا العديد من الكتب، بعضها ذُكر بإيجاز في فقرات سابقة، والتي تُفصّل دراساتها التجريبية ونظرياتها. ومن أبرز كتبها كتاب "عقل الحيوان" الذي نُشر عام 1908. وقد مثّل هذا الكتاب عرضًا شاملًا للتجارب التي أجرتها على الإدراك الحيواني، إلى جانب دراسات أخرى متعلقة بعلم نفس الحيوان. أصبح "عقل الحيوان" مرجعًا أساسيًا في دراسة علم نفس الحيوان، وصدرت منه طبعات عديدة على مرّ الزمن. وظلّ مرجعًا رئيسيًا في كتب علم النفس لما يقرب من 25 عامًا.

ظهرت نظريتها الأكثر شيوعًا في كتابها "الحركة والتصور الذهني" عام 1916، حيث طرحت نظريتها الحركية للوعي. ببساطة، تنص نظريتها على أن الوعي والنشاط الحركي مرتبطان، وبالتالي، فإن التفكير والحركة مرتبطان. كانت هذه إحدى أولى الفرضيات المدعومة علميًا حول العلاقة بين العقل والجسم، وتحديدًا حركة الجسم. لا تزال الأفكار المتعلقة بالحركة والتفكير قيد الدراسة حتى اليوم، حيث تشير دراسة حديثة إلى أن الحركة والنشاط البدني قد يؤديان إلى تغييرات في التفكير الإدراكي، وقد يساعدان في تعزيز الاحتياطي المعرفي. من المحتمل أن هذه الدراسات الحديثة ما كانت لتُجرى لولا أعمال واشبورن.

نشرت واشبورن أعمالًا على مدار 35 عامًا من حياتها، تضمنت جميعها دراسات ومقالات من تأليفها. وكانت أيضًا أول امرأة تُنتخب لعضوية جمعية علماء النفس التجريبيين، وهي هيئة أكاديمية لعلم النفس التجريبي أسسها إدوارد برادفورد تيتشنر عام 1904، والذي كان يمنع النساء في البداية من الانضمام إليها.. وبفضل هذه الدعوة، وكونها أول امرأة تحصل على درجة الدكتوراه في علم النفس، تُعتبر واشبورن رائدةً للنساء في هذا المجال. كما أظهر عملها المتواصل في هذا المجال ونجاحها في النشر أن النساء قادرات على العمل والازدهار في الأوساط الأكاديمية والبحث التجريبي، وهو أمر كان يُعتقد في ذلك الوقت أنهن غير مناسبات له.

ربما كان عالم النفس جيمس ماكين كاتيل *James McKeen Cattell* (1860–1944) أول شخصية مؤثرة في حياة واشبورن. مع ذلك، كان لوالديها تأثير كبير عليها طوال حياتها من خلال اهتماماتهما الأدبية المشتركة وتشجيعهما لها. سُمح لواشبورن بحضور محاضرات كاتيل في جامعة كولومبيا، حيث أوصى لاحقًا بالتقدم إلى جامعة كورنيل. قادها هذا إلى عالم النفس الشهير إدوارد ب. تيتشنر، لتصبح أول طالبة دكتوراه لديه. بعد عام في جامعة كورنيل، حصلت واشبورن على درجة الماجستير غيابيًا عام 1893. وفي عام 1894، مُنحت درجة الدكتوراه من جامعة كورنيل، وهو ما تأثر بشكل كبير بتوصية تيتشنر. اذ أثبتت توصيته جدواها، إذ لم تكن تُمنح النساء شهادات جامعية في ذاك الوقت، وكان من النادر جدًا أن يحصلن على توصيات من الرجال في مجال علم النفس.

أثرت واشبورن في العديد من الأشخاص طوال مسيرتها المهنية، ولكن الأهم من ذلك، أن طلابها كانوا يكنّون لها احترامًا كبيرًا، وقد حقق بعضهم نجاحًا باهرًا. وبالنظر إلى نجاحها، فقد مهدت واشبورن الطريق أمام الجيل التالي من عالمات النفس. ومن بين النساء البارزات الأخريات في علم النفس خلال تلك الفترة

كريستين لاد فرانكلين *Christine Ladd-Franklin* (1847–1930) وماري ويتون كالكنز *Mary Whiton Calkins* (1863–1930). شكلت هؤلاء النساء الثلاث بداية حركة لتغيير النظرة السائدة عن المرأة، مُثبتات للرجال أن لدى النساء الكثير ليقدمنه في مجال علم النفس وغيره من مجالات الخبرة.

على غرار واشبورن، عملت جون إيتا داوني *June Downey* (1875–1932) مع إدوارد ب. تيتشنر في جامعة كورنيل عام 1901. كانت داوني مهتمة أيضاً بدراسة السلوك الحركي، ويمكن افتراض أنها استلهمت من واشبورن بطريقة أو بأخرى، خاصةً وأن كلتيهما درستا مع تيتشنر. الفرق الوحيد هو أن داوني ركزت أكثر على الشخصية، وعلم الخط، وعلم الجمال، وهو ما يختلف تماماً عن علم نفس الحيوان وإدراكه.

واجهت النساء في مجال علم النفس خلال تلك الفترة صعوبة في الحصول على التعليم المناسب، إذ كان هذا المجال حكرًا على الرجال. وبشكل أدق، لم تُتح للنساء المتزوجات أو اللواتي لديهن أطفال فرصٌ تُذكر للتفوق في هذا المجال. بل إن بعض النساء حُرِمْنَ من الشهادات التي استحقّنها، وإن حصلن عليها، فقد واجهن صعوبةً بالغةً في إيجاد وظائف تُوظّف النساء. يُفترض أن واشبورن اختارت عدم الزواج لعلمها أن الزواج قد يُؤخر أو يُعيق مسيرتها المهنية في علم النفس. لذا كرّست حياتها لمهنتها وبحوثها. حتى أنها، بعد ماري ويتون كالكنز، شغلت منصب رئيسة الجمعية الأمريكية لعلم النفس، ونالت شرفًا رفيعًا بانضمامها إلى زمالة الأكاديمية الوطنية للعلوم، لتكون ثاني امرأة تنال هذا الشرف.

يُعتبر عصر واشبورن، أو أوائل القرن العشرين، العصر التقدمي، ويُوصف بأنه فترة سلام وازدهار وتقدم. كان وعد الوظائف والأجور المرتفعة سببًا كافيًا لكثير من الناس للانتقال إلى المدن الكبرى في الولايات المتحدة، مما أدى إلى مشاكل للطبقات الدنيا والعاملة، بما في ذلك المجاعة، ونقص المياه، والأمراض، والاكتظاظ السكاني. ومع ذلك، ولأن واشبورن كانت تُعتبر من الطبقة المتوسطة العليا، فقد وفّر العصر التقدمي فوائد لعائلتها، ولا شك أن هذه الميزة ساهمت في فرصها ونجاحها.

كان لواشبورن أثرٌ بالغٌ في مجال علم النفس. اذ شكّل عملها في علم نفس الحيوان والإدراك إسهامها الأول، وعكس كتابها "عقل الحيوان" أهمية دراسة تأثير الدماغ على سلوك الحيوان، بما في ذلك الإدراك والانتباه والتعلم والإحساس. ما ميّز هذا الكتاب عن غيره من الدراسات الحيوانية هو تنوّع الحيوانات التي اختارتها واشبورن لاستخدامها في بحثها؛ إذ اقتصرت التجارب النفسية الأخرى على الفئران في ذلك الوقت.

قادها عملها إلى استنتاج أن العمليات العقلية ووعي الحيوانات يُشابهان مثيليهما لدى البشر، لأن الحيوانات تمتلك نفس البنية العقلية للبشر, ظلّ كتاب "عقل الحيوان" مرجعًا أساسيًا في علم النفس لمدة 25 عامًا، ما يُبرز أثر عمل واشبورن.

أسهمت واشبورن أيضًا بنظريتها حول الوعي الحركي في عالم علم النفس. تُبين هذه النظرية أن الوعي مرتبط بالحركة. وقد مثّلت هذه النظرية محاولتها للفصل بين السلوكية والبنيوية، وهما نظامان رئيسيان في علم النفس. انتقدت واشبورن المنظور البنيوي ودققت فيه، واستخدمت هذه الانتقادات لصياغة نظريتها الخاصة, يُظهر تطور هذه النظرية دافع واشبورن الفكري، الذي يُرجح أنه كان الدافع وراء إسهاماتها اللاحقة في مجال علم النفس.

عموماً، في وقتٍ كان يُثبط فيه النساء وذوو البشرة الملونة عن مواصلة التعليم، بل ويُحظر عليهم ذلك في بعض الأماكن، شكّل حصول واشبورن على شهادتها نقطة تحوّلٍ هامة في علم النفس. فقد أظهر تفانيها وعملها الدؤوب أن النساء قادرات على تحقيق الإنجازات الأكاديمية تماماً كالرجال. ولولا مثابرة واشبورن، لكان من الممكن أن يستغرق الأمر وقتاً أطول بكثير قبل أن تُدمج النساء في مجال علم النفس.

ملخص..

من قلائل النساء اللاتي درسن علم النفس في ذلك الوقت المبكر من تاريخه، وتميزن في مجاله بالإنتاج العلمي الغزير والرائد. تدرجت في المناصب الجامعية حتى درجة الأستاذ، ورأست معمل علم النفس التابع لكلية فاسار، وأشرفت على ثمانية وستين بحثاً خلال رئاستها من سنة 1905 حتى سنة 1938، ولها واحد وستون مقالاً نشرتها في المجلات العلمية المتخصصة، واشتهرت في بعضها بمحاولاتها التوفيق بين الاتجاه الاستبطاني والاتجاه السلوكي وهما قرنا الإحراج النفسي الأميركي في زمانها.

وتنتمي واشبرن للجيل الثاني من علماء النفس الأميركيين الذين تتلمذوا على أساتذة كبار تلقوا علومهم النفسية في ألمانيا، وعملوا تحت إشراف فونت مؤسس علم النفس التجريبي، وتلقوا تدريبهم في معمله المشهور بلايبتسغ. ودرست واشبرن بجامعة كورنل، ورأسها تتشنر تلميذ فونت، وأشرف على رسالتها للدكتوراه (1894)، واختيرت لرئاسة رابطة علماء النفس الأميركيين (1921)، ونائبة الرئيس لجماعة التقدم العلمي الأميركية (1927)، وعضواً بجمعية علماء النفس التجريبيين (1929) خلفاً لتتشنر، وكانت ثاني امرأة تختار لعضوية الأكاديمية القومية للعلوم.

وتشتهر واشبرن بكتابها المرجع الجامع لكل ما تم تصنيفه من كتب في موضوع علم نفس الحيوان، والذي ظل لمدة ثلاثين عاماً أو نحوها المرجع الوحيد لطلاب علم النفس المقارن، والباحثين فيه والأساتذة على السواء، وأعطته عنوان "عقل الحيوان *The Animal Mind*"، وتكررت طباعته ابتداءً من سنة 1908 حتى سنة 1938.

أعلام ... "الياء"

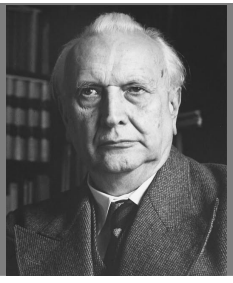

كارل ياسبرز

Karl Jespers

كارل ياسبرز *Karl Jespers* (1883– 1969) من أقطاب علم النفس الوجودي، ويعد من أغزر الوجوديين إنتاجاً، ويمتاز عنهم بالوضوح، وليس فيه غموض وجفاف هايدغر *Martin Heidegger* (1889–1976)، ولا عبثية سارتر *Jean–Paul Charles Aymard Sartre* (1905–1980)، ولا تحليلية مارسيل *Gabriel Marcel* (1889–1973) المتهافتة. وياسبرز تعلم بهايدلبرغ، وحصل منها على الدكتوراه في الطب العقلي (1909) ثم دكتوراه التأهيل لتدريس علم النفس (1913). ولم يكن يهتم كالوجوديين بالسياسة، وأخلص للبحث في مجال العلوم النفسية والأمراض العقلية، وتتميز مؤلفاته بالفخامة، وبعضها يربو على الألف صفحة، وأهمها في مجالنا "علم النفس المرضي العام *Allgemeine Psychopathologie*" (1913)، و"سيكولوجية النظرية في العالم *Psychologie der Weltanchaungen*" (1919). وعيّن أستاذاً لعلم النفس ثم للفلسفة، وأقصته الحكومة النازية بدعوى أن زوجته يهودية، وكتب في ذلك تحليلاً نفسياً بعنوان "مسألة إحساس الألمان بالذنب" (1946).

وُلد كارل تيودور ياسبرز في 23 فبراير 1883 في مدينة أولدنبورغ بشمال ألمانيا، بالقرب من بحر الشمال، حيث عاش أسلافه لأجيال. كان والده مصرفيًا وعضوًا في البرلمان (*Landtagesabgeordneten*)، كارل فيلهلم ياسبرز (1850–1940)، ووالدته هنرييت تانتزن

(1862–1941)، التي تنتمي أيضًا إلى عائلة لها دور في البرلمان المحلي. تأثرت بيئة عائلة ياسبرز بشدة بالثقافة السياسية لليبرالية في شمال ألمانيا، وكثيرًا ما أشار إلى مناخ الفكر الديمقراطي الليبرالي المبكر باعتباره جانبًا أساسيًا في تكوينه. علاوة على ذلك، ورغم أنه ادعى عدم تأثره بأي عقيدة دينية محددة، فقد تشكل فكره أيضًا بروح البروتستانتية في شمال ألمانيا، ويمكن وضع رؤيته الفلسفية، من نواحٍ عديدة، ضمن التقاليد الدينية لكانت وكيركغارد.

كان ياسبرز تلميذًا في مدرسة ألتس جيمنازيوم في أولدنبورغ. منذ طفولته المبكرة، عانى ياسبرز من توسع القصبات المزمن الذي أضعف قدراته البدنية، وأثر إدراكه لإعاقته الجسدية على روتينه طوال حياته البالغة، وشكّل حساسيته تجاه القضايا النفسية، بما في ذلك المعاناة الإنسانية. ويعزو ياسبرز قدرته على الالتزام بروتين يومي طبيعي وتكريس حياته لعمله الإبداعي إلى انضباطه الصارم فيما يتعلق بصحته.

في عام 1910، تزوج من جيرترود ماير (1879–1974)، التي تنتمي إلى عائلة تجارية يهودية ألمانية متدينة. في ذلك الوقت، كانت تعمل مساعدةً في مصحة الطبيب النفسي وأخصائي الأعصاب أوسكار كونشتامز (1871–1917)، وكانت شقيقة صديقيه المقربين غوستاف ماير والفيلسوف إرنست ماير. وبفضل زواجها من الفيلسوف المعروف آنذاك كارل ياسبرز، تمكنت جيرترود ماير من البقاء في ألمانيا خلال الحقبة النازية.

تلقى ياسبرز تعليمًا متنوعًا وواسع النطاق. التحق في البداية بكلية الحقوق في جامعة هايدلبرغ لثلاثة فصول دراسية (1901–1902). ورغم اهتمامه الشديد بالفلسفة، الذي استكشفه من خلال كتاب سبينوزا "الأخلاق (1677) "و كتاب كانت " نقد العقل الخالص(1781) "، فقد اختار الطب انطلاقًا من إيمانه بأنه يُلقي الضوء على الحياة نفسها وتحديات الوجود الإنساني. بدأ ياسبرز دراسته للطب في برلين (1903/1902)، ثم انتقل إلى غوتينغن (1903–1906)، وأنهى دراسته في هايدلبرغ (1906–1908). قدّم أطروحته بعنوان " الخوف والشقاء "عام 1908، وحصل على شهادة الطب عام 1909. عمل مساعدًا باحثًا في عيادة الطب النفسي بجامعة هايدلبرغ بين عامي 1909 و1915، حيث تعاون مع نخبة من أشهر أطباء النفس في ألمانيا، من بينهم نيسل، وويلمانيد، وغروهل، وماير–غروس. ونظرًا لإصابته بتوسع القصبات، لم يكن قادرًا على أداء مهامه الشاقة في العيادة. لذا، سمح له مدير عيادة الطب النفسي بجامعة هايدلبرغ، فرانز نيسل، بقضاء معظم وقته في المكتبة بدلًا من العيادة والمختبر. وبالفعل، كانت مهاراته

الاستثنائية في التفكير النقدي والملاحظة المجردة للمواقف الإنسانية واضحةً منذ ذلك الحين. وابتداءً من عام 1913، انكبّ ياسبرز على دراسة الفلسفة بشكل منهجي. في عام 1913، نشر كتابه "علم الأمراض النفسية العام (*Allgemeine Psychopathologie*) "، الذي وضح فيه وجهات النظر والأساليب التي تنتمي إلى عالم العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي اعتبرها متقاربة مع علم الأمراض النفسية.

وفي العام نفسه، حصل على درجة الدكتوراه الثانية (التأهيل) في علم النفس من كلية الفلسفة بجامعة هايدلبرغ، تحت إشراف فيلهلم فيندلباند. عمل محاضرًا، ثم أستاذًا مشاركًا في علم النفس (*Privatdozent*)من عام 1913 إلى عام 1921. وخلال هذه الفترة، في عام 1919، نشر كتابه "علم نفس الرؤى العالمية.(*Psychologie der Weltanschauungen*) "يُعتبر هذا العمل عملاً انتقالياً، حيث تأثرت منهجيته النفسية بشكل واضح بالتأثيرات والأهداف الفلسفية، وبدأت تتطور إلى مذهب فلسفي متسق، مكتسبةً بعض القضايا الرئيسية التي سيتناولها لاحقاً في فلسفته عن الوجود.

ثم، في عام 1922، تولى منصب أستاذ الفلسفة في جامعة هايدلبرغ (خلفاً لهينريش ماير)، وهو المنصب الذي أُقيل منه عام 1937 على يد النازيين. وإلى حد كبير، كان أول منشورين رئيسيين له في علم النفس، يحتويان على العديد من عناصر فلسفته اللاحقة، وإن كانت في صورتها الأولية. بعد تعيينه أستاذاً، لم يكتب شيئاً لمدة عشر سنوات، باستثناء عملين صغيرين: دراسة في علم الأمراض بعنوان "ستيرنبرغ وفان جوخ "عام 1922، وكتاب " فكرة الجامعة" عام 1923.

أثناء عمله كطبيب نفسي في هايدلبرغ، التقى ياسبرز بماكس فيبر، وكذلك بالمفكرين الآخرين الذين كانوا يحيطون به، بمن فيهم إرنست بلوخ، وإميل لاسك، وجورج زيمل، ولوكاش. وقد تأثر تكوينه الفكري بهذا الوسط الفكري من جوانب عديدة. فعلى الصعيد السياسي، دمج ياسبرز جوانب من حماس فيبر لليبرالية البطولية، والقومية المسؤولة، والديمقراطية النخبوية في فكره ومواقفه. أما على الصعيد النظري، فقد تأثرت أفكاره بالردود النقدية المتزايدة على الفلسفة الكانتية الجديدة، التي هيمنت على النقاشات المنهجية حول فيبر ولوكاش، والتي بدورها أثرت على المشهد الفكري خلال الحرب العالمية الأولى وطوال فترة جمهورية فايمار. شهدت هذه الفترة تراجع الكانتية الجديدة عن مكانتها كعقيدة فلسفية سائدة في الأوساط الأكاديمية الألمانية، وتميزت بانتشار نماذج فلسفية رفضت الشكلية الكانتية وسعت إلى دمج عناصر تجريبية وتاريخية، بل واجتماعية، في الخطاب الفلسفي. وأصبحت محاولة إنقاذ الفلسفة الكانتية من

الشكلية القانونية لمدرسة جنوب غرب ألمانيا للفلسفة الكانتية الجديدة، التي تمحورت حول هاينريش ريكرت وويلهلم فيندلباند، إحدى السمات الرئيسية لأعمال ياسبرز، وكان تطوره الفلسفي برمته مدفوعًا، من نواحٍ عديدة، بالرغبة في إعادة بناء الفكر الكانتي، لا كمذهب شكلي للتشريع الذاتي، بل كتفسير للتجربة الميتافيزيقية، والحرية الحاسمة التلقائية، والحياة الداخلية الأصيلة. كما تأثرت مسيرته المبكرة كأستاذ للفلسفة تأثرًا عميقًا (وسلبيًا) بالعداء الكانتي الجديد لأعماله. في الواقع، قام كل من الفلاسفة الكانتيين الجدد والفلاسفة الظاهريين بإخضاع عمله لنقد لاذع في المراحل المبكرة من مساره الفلسفي، واتهمه أعضاء كلا المعسكرين، وخاصة ريكرت وإدموند هوسرل، باستيراد أسئلة أنثروبولوجية وتجريبية إلى الفلسفة، وبالتالي تلويث التحليل الفلسفي بمضامين تنتمي بشكل صحيح إلى تخصصات أخرى.

إذا كان فيبر أول مؤثر شخصي حاسم، وكان كانت أول مؤثر فلسفي حاسم على ياسبرز، فقد التقى في أوائل عشرينيات القرن العشرين بشخصية أخرى لعبت دورًا حاسمًا في تكوينه الفكري، ألا وهي مارتن هايدغر. لا يمكن الجزم بأن هايدغر هو من حدد بشكل مباشر البنية المفاهيمية أو الشروط المسبقة الكامنة وراء أعمال ياسبرز، ولا أنه استوعب جوانب من فكر ياسبرز في فلسفته. فعلى امتداد مساريهما النظريين، كانت الاختلافات بين هايدغر وياسبرز، في كثير من النواحي، أكبر من أوجه التشابه. في الواقع، بلغت الخلافات النظرية بينهما ذروتها في نهاية المطاف بمشادة شخصية وسياسية مريرة، نجمت عن إعلان هايدغر تعاطفه مع الاشتراكيين الوطنيين عام 1933. شعر ياسبرز بتهديد شخصي من قرار هايدغر المشين بدعم النازيين، كونه متزوجًا من امرأة يهودية، ولأنه كان قد ارتبط سابقًا بسياسيين وفلاسفة ليبراليين بارزين، وعلى رأسهم فيبر، الذين تعرضوا الآن لهجوم من هايدغر ومثقفين آخرين مرتبطين بالحزب النازي.

في عام 1933، انجرف ياسبرز نفسه لفترة وجيزة إلى الإدلاء بتصريحات متفائلة بشكل متهور حول نظام هتلر. في الواقع، لم تكن هذه التصريحات غريبة تمامًا عن منشوراته الأخرى في أوائل الثلاثينيات. في السنوات الأخيرة من جمهورية فايمار، نشر عملاً سياسياً مثيراً للجدل بعنوان " الحالة الروحية للعصر(1931) " ، والذي تضمن – مما سبب له إحراجاً شديداً لاحقاً– نقداً دقيقاً للديمقراطية البرلمانية. وخلال هذه الفترة، أكد أيضاً على أهمية أفكار فيبر حول القيادة القوية في الحفاظ على النظام السياسي في ألمانيا. إلا أن تدهور علاقته مع هايدغر، على ما يبدو، قد رسّخ لديه موقفاً معارضاً بشدة ومستداماً

للاشتراكية القومية، وعلى عكس هايدغر، تجنبت أعماله في ثلاثينيات القرن العشرين الخوض في المواضيع السياسية، وركزت في معظمها على شرح الجوانب الباطنية أو الدينية لفلسفته.

في عام 1932، نشر ثلاثيته" الفلسفة "، المؤلفة من ثلاثة مجلدات منفصلة، يستند كل منها إلى موضوعه الخاص في التجاوز : "توجيه العالم"، و"إضاءة الوجود"، و "الميتافيزيقا" . يُعتبر هذا الكتاب عمومًا عمله الأبرز ، وقد شهد لاحقًا بأنه كان أقرب الأعمال إلى قلبه. إن اختياره عدم منح الكتاب العنوان المتوقع "الفلسفة الوجودية"، على الرغم من الاستخدام الواسع لمصطلح "فلسفة الوجود"، يعكس استياءه من أنه يُضيّق نطاق مثاله الأعلى في الفلسفة الخالدة . لاحقًا في *Vernunft und Widervernunft in unserer Zeit*) العقل واللاعقل في عصرنا)، ومنذ عام 1950 سيعبر عن تفضيله لعبارة "فلسفة العقل."

على الرغم من العلاقات المتوترة التي جمعت بينهما أحيانًا، يُربط هايدغر وياسبرز عادةً ببعضهما البعض باعتبارهما الأبوين المؤسسين للفلسفة الوجودية في ألمانيا. إلا أن هذا التفسير لوضعهما الفلسفي وعلاقتهما محل شك. فقد استاء هايدغر من وصفه بالوجودي، واستاء ياسبرز، على الأقل بعد عام 1933، من ربطه بهايدغر. حتى في بداية صداقتهما، كان هايدغر شديد الانتقاد لفلسفة ياسبرز؛ فقد كتب تعليقًا على كتاب " سيكولوجية النظرات العالمية "، زعم فيه أن منهج ياسبرز المنهجي ظل أسيرًا لمغالطات الميتافيزيقا الذاتية والوجودية الديكارتية، وأنه أدخل بشكل غير مشروع مفاهيم علم الاجتماع الفيبري في التحليل الفلسفي. وبالمثل، احتفظ ياسبرز طوال حياته بدفتر ملاحظات نقدية حول هايدغر، وكان يصف بشكل روتيني أنطولوجيا هايدغر الأساسية بنبرة استنكار أخلاقي إنساني. ومع ذلك، لا يزال هناك قدر من الصحة في الربط الشائع بين هايدغر وياسبرز، وعلى الرغم من أنه يتطلب توضيحًا، إلا أن هذا الربط ليس مضللًا من جميع النواحي. كانت الوجودية، ولا تزال، حركة نظرية شديدة الانتشار، ولا يمكن توقع أن يحمل فيلسوفان مرتبطان بهذه الحركة آراءً متشابهة في جميع الجوانب. ومع ذلك، كان للوجودية سمات موحدة معينة، وكان العديد منها مشتركًا بين ياسبرز وهايدغر. لذلك، في المراحل المبكرة من تطورها، يمكن وصف الوجودية بأنها موقف نظري: أ) نقل الخطاب الفلسفي بعيدًا عن الشكلية الكانتية، وأكد على الاعتقاد بأن محتوى الفكر يجب أن يكمن في تجارب وقرارات محددة؛ ب) اتبع كيركغارد في تعريف الفلسفة بأنها نشاط شغوف ومنخرط بعمق، تتداخل فيه سلامة الإنسان وأصالته بشكل حاسم؛ ج) سعى إلى تجاوز التناقضات (العقل/التجربة؛ النظرية/التطبيق؛ التجاوز/الحلول؛ العقل المجرد/العقل العملي) التي

تحدد التقاليد الميتافيزيقية الكلاسيكية، وذلك من خلال دمج جميع جوانب الحياة البشرية (المعرفية والعملية والحسية) في رؤية شاملة للوجود العقلاني والتجريبي. إذا قُبل هذا التعريف للوجودية، فلا يمكن رفض فكرة وجود صلة قرابة بين ياسبرز وهايدغر بشكل كامل، إذ أسهم كلاهما في إعادة تنظيم التساؤل الفلسفي في عشرينيات القرن العشرين بطريقة تتوافق مع هذا التعريف. لكن في نهاية المطاف، تدهورت العلاقات بين هايدغر وياسبرز إلى طريق مسدود، وبعد الحرب العالمية الثانية رفض ياسبرز شرح أو تبرئة تصرفات هايدغر السياسية خلال السنوات النازية، بل إنه أوصى لجنة اجتثاث النازية بتعليق هايدغر عن مسؤولياته التدريسية الجامعية.

خلال الحقبة النازية، بدءًا من عام 1933، مُنع ياسبرز من أي تعاون في إدارة الجامعة حتى فُصل من منصبه كأستاذ عام 1937، وخضع لحظر النشر . خلال الحرب، لم يكن هو وزوجته في خطر جسدي، لكنه شعر بأنه مُستهدف حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. سمع ياسبرز ذات مرة، بشكل غير مباشر، عن خطة لترحيله هو وزوجته إلى معسكر اعتقال في منتصف أبريل 1945. لحسن حظه، وصلت القوات الأمريكية إلى هايدلبرغ قبل أسبوعين، في الأول من أبريل 1945 .بعد عام 1945، انقلبت حياته رأسًا على عقب، وبرز اسمه في القائمة البيضاء لقوات الاحتلال الأمريكية: أي قائمة السياسيين والمثقفين الذين لم يُلطخوا بأي صلة بالحزب النازي، والذين سُمح لهم بلعب دور عام في عملية إعادة بناء ألمانيا سياسيًا. منذ ذلك الحين، عرّف ياسبرز نفسه في المقام الأول كفيلسوف ومُعلّم شعبي. في دوره الأول، قدّم تعليقاتٍ مُستفيضة ومُفيدة حول مسائل التوجه السياسي والأخلاق المدنية، أولًا خلال الفترة الانتقالية بين عامي 1945 و1949، ثم بعد عام 1949، في السنوات الأولى لجمهورية ألمانيا الاتحادية. وفي دوره الثاني، كأحد الأساتذة المسؤولين عن إعادة افتتاح جامعة هايدلبرغ، التي عُيّن فيها رئيسًا لها من قِبل جيش الاحتلال الأمريكي، كتب بإسهاب عن ضرورة إصلاح الجامعات، وشدّد على دور التعليم الإنساني الليبرالي كوسيلة لنشر الأفكار الديمقراطية في جميع أنحاء ألمانيا، واتخذ موقفًا حازمًا ضد إعادة تأهيل الأساتذة ذوي التاريخ النازي. في عام 1946، نُشر كتاب "فكرة الجامعة "بصيغة مختلفة جوهريًا عن الكتاب الذي يحمل نفس العنوان والصادر عام 1923. يُقدّم العمل الأخير الجامعة كمجتمع حر من العلماء والطلاب المنخرطين في مهمة البحث عن الحقيقة. وبناءً على ذلك، تستطيع الجامعة والعلماء الذين ينتمون إليها، بل ويجب عليهم، أن يلعبوا دورًا حاسمًا في إعادة بناء أوروبا استنادًا إلى أنبل أفكار

عصر التنوير. في ذلك الوقت، ولا يزال، يُعدّ ياسبرز من القلائل الذين يُمكنهم بحقّ التحدث عن القيم وضرورة اتخاذ موقف كهذا في مواجهة التهديدات التي تُحدق بالحرية والإنسانية. ويتجلى تقدير إنسانية ياسبرز النبيلة في السنوات الأولى التي أعقبت الحرب في التكريمات العديدة التي مُنحت له، بما في ذلك جائزة غوته عام 1947، وجائزة السلام من نقابة تجار الكتب الألمانية عام 1958، وجائزة إيراسموس عام 1959، وجائزة مؤسسة أولدنبورغ للمواطنين الفخريين.

من بين منشوراته التي صدرت بعد عام 1945، تُعدّ إسهامات ياسبرز السياسية ربما الأهم. فقد كان لإسهامه في تعزيز ثقافة مدنية ديمقراطية في ألمانيا الغربية آنذاك أهمية بالغة، وساهمت كتاباته وبرامجه الإذاعية، جزئيًا، في تشكيل التوافق الديمقراطي الذي كان يتطور تدريجيًا في جمهورية ألمانيا الاتحادية الناشئة. في كتابه " مسألة الذنب الألماني *Die Schuldfrage* "، 1946 الذي نُشر إبان محاكمات نورمبرغ، جادل بأنه على الرغم من عدم إمكانية محاكمة جميع الألمان بشكل قانوني بتهمة ارتكاب جرائم حرب، إلا أنه ينبغي على جميع الألمان الاعتراف بتواطئهم الضمني في المحرقة، وأنّ التأمل الذاتي النقدي لجميع الألمان هو السبيل الوحيد لتحقيق التجديد الثقافي والسياسي. في خمسينيات القرن العشرين، أيّد ياسبرز السياسات الرئيسية للحكومات الليبرالية المحافظة بقيادة كونراد أديناور (1949–1963)، ودعم بشكل خاص تشكيل التحالف الغربي، الذي اعتبره وسيلة لحماية الموارد الثقافية لأوروبا الغربية من استعمار الاتحاد السوفيتي. ومع ذلك، وخلال هذه الفترة، تغيّر الطابع المحافظ الحذر لفكر ياسبرز السياسي تدريجيًا بفعل حواراته الفكرية المتكررة، والتي كانت أحيانًا مكثفة، مع حنة أرندت، التي يُمكن اعتبارها المؤثر الرابع الكبير على أعماله. كان ياسبرز مُعلّمًا ومُشرفًا على أرندت قبل هجرتها من ألمانيا في ثلاثينيات القرن العشرين، لكن الفترة التي تلت عام 1945 شهدت نوعًا من تبادل الأدوار في هذه العلاقة، وهو ما يبدو أن ياسبرز قد تقبّله برحابة صدر. تأثرًا بنزعة آرندت الجمهورية التنافسية، انقلب تدريجيًا على روح الرضا النسبي السائدة في الإصلاح السياسي والفكري في بدايات الجمهورية الاتحادية، وكرّس نفسه في نهاية المطاف لوضع نماذج للمواطنة قائمة على الحقوق الدستورية والهويات المكفولة قانونًا. وبهذا المعنى، يمكن اعتباره رائدًا مهمًا ليورغن هابرماس، وتتضمن أعماله تصورًا مبكرًا للمذهب الذي عُرف لاحقًا بالوطنية الدستورية.كانت آراؤه حول إعادة توحيد ألمانيا مؤثرة للغاية؛ فقد عارض التوجهات السائدة آنذاك، زاعمًا أن المطالبة بإعادة التوحيد تعني أن السياسة الألمانية لا تزال متأثرة بآثار

الأفكار والطموحات الجيوسياسية القديمة، وأنها تحول دون إعادة توجيه الحياة السياسية الألمانية بشكل جذري. وفي نهاية المطاف، وفي تعبير رمزي عن اشمئزازه من استمرار المواقف السياسية الضارة في ألمانيا، تخلى عن جنسيته الألمانية، وبعد أن انتقل إلى جامعة بازل عام 1948، أصبح مواطنًا سويسريًا. وفي أعماله الأخيرة، مال إلى اليسار السياسي، بل ذهب إلى حد القول بأن ثورة قانونية هي وحدها الكفيلة بضمان تنظيم الدولة الألمانية على أساس دستور حاسم أخلاقيًا. توفي إثر سكتة دماغية في بازل، سويسرا، في 26 فبراير 1969 عن عمر ناهز 86 عامًا. أما زوجته، جيرترود ياسبرز، التي عملت ككاتبة له طوال حياته كباحث، فقد توفيت في بازل في 25 مايو 1974 عن عمر ناهز 95 عامًا.

كتابات الطب النفسي

أقل شهرة، على الأقل في أوساط الطب النفسي الناطق بالإنكليزية، هو إسهام ياسبرز الدائم في مجال الطب النفسي الذي سبق أعماله الفلسفية، والذي يتضح عند النظر إليه اليوم أنه لم يكن منفصلاً عنها تماماً، على الأقل من حيث روحه التوجيهية المشتركة. خلال مسيرته المهنية المتميزة كطبيب نفسي، حقق ياسبرز إسهاماً بارزاً في الفكر النفسي، الذي عُرف لاحقاً باسم "مدرسة هايدلبرغ" بقيادة كورت شنايدر. في شبابه، ألّف عدداً من المقالات العلمية حول الحنين إلى الوطن والجريمة، واختبارات الذكاء، والهلوسة – وكلها مدعومة بدراسات حالة مفصلة. كما نشر ياسبرز تقارير عن الأمراض النفسية التي عانى منها فان جوخ وستيرنبرغ. من بين هذه الأعمال، تبرز أهمية خاصة لمقالته المتميزة من عام 1910، التي قدم فيها منهجه ومبادئه الأساسية المتعلقة بـ"العمليات العقلية" و"تطور الشخصية"، ومقال آخر عن المنهج الظاهراتي في الطب النفسي من عام 1912، والذي رسخ مكانته الرائدة كأول معلق على الدراسة الظاهراتية للتجارب الذاتية على مستوى الوعي. وفي عام 1913، وهو في الثلاثين من عمره تقريبًا، بينما كان يعمل طبيبًا في مستشفى الأمراض النفسية في هايدلبرغ، نشر ياسبرز كتابه " علم الأمراض النفسية العام: دليل للطلاب والأطباء وعلماء النفس)." علم الأمراض النفسية العام: دليل للطلاب والأطباء وعلماء النفس). هدفت هذه الدراسة إلى توفير إطار عمل للمجال العلمي لعلم الأمراض النفسية، وما يرتبط به من حقائق ومناهج، ليس فقط للممارسين في هذا المجال، بل أيضًا للمفكرين المهتمين. يغطي هذا الإطار المشكلات والأساليب التي تُشكّل مجمل معارف هذا المجال، بدلاً من الاعتماد على الأدلة التجريبية أو

نظام قائم على نظرية. وبدلاً من الحسم بين المناهج المختلفة السائدة في عصره، شدد على خصوصيتها التي تنطوي على مبرراتها الجوهرية، وكيف يمكن لهذه المناهج أن تُكمّل بعضها بعضًا، وأن تُصوّر معًا جوانب متعددة من علم الأمراض النفسية. ويتجلى تلميح إلى روح فلسفته الوجودية، التي لم تتبلور بعد، في تصريحه في مقدمة الكتاب، والذي ينص على أنه "في علم الأمراض النفسية، من الخطورة بمكان مجرد تعلم المادة، فمهمتنا ليست 'تعلم علم الأمراض النفسية'، بل تعلم الملاحظة، وطرح الأسئلة، والتحليل، والتفكير بمفاهيم علم الأمراض النفسية". مع ذلك، ورغم الإنجاز الباهر للكتاب المذكور، الذي حظي بتقدير كبير من كبار الأطباء النفسيين في العالم الناطق بالألمانية باعتباره إنجازًا عظيمًا في هذا المجال، إلا أنه مثّل ذروة إنتاجية ياسبرز في الطب النفسي. فبعد عامين فقط، ابتعد ياسبرز نهائيًا عن ممارسة الطب النفسي والطب عمومًا، متجهًا أولًا نحو علم النفس ثم الفلسفة. ومن المثير للاهتمام أن ياسبرز رأى من المناسب تنقيح النص وتوسيعه في بعض طبعاته المتعددة. الطبعة الأولى هي الأقصر، بينما شهدت الطبعتان الثانية والثالثة تغييرات طفيفة. أما الطبعة الرابعة، التي صدرت عام 1942، فهي الأكثر تنقيحًا وتوسيعًا. وإلى حد كبير، فإن دمج العديد من الأفكار من فلسفته الوجودية الناضجة آنذاك، والتي بدأها في ثلاثينيات القرن العشرين وما بعدها، ما ضاعف نطاق النص، يُعد في الواقع بمثابة نسخة جديدة من الكتاب. الآن، تم حذف العنوان الفرعي الذي ظهر في النسخ السابقة، ويشير ياسبرز في المقدمة إلى هدفها السامي المتمثل في تلبية الطلب على المعرفة، ليس فقط للأطباء، بل لكل من يجعل من الإنسانية موضوعًا لاهتماماته. في هذه النسخة الموسعة من الكتاب، يظهر أثر علم النفس الوصفي لهوسرل جليًا في محاولة تناول التجارب العقلية الداخلية للمرضى النفسيين (وخاصة مرضى الفصام) واعتبارها مؤشرًا على الظواهر العامة للوعي البشري، أي: الأوهام، وأنماط وعي الذات، وأنماط الانفعالات. في الوقت نفسه، كان أثر فيلهلم دلتاي (1833–1911) واضحًا في الأهمية المركزية التي أُعطيت للتمييز بين "فهم علم النفس (*Verstehende Psychologie*) "، الذي يتعلق بالروابط ذات المعنى والمفهومة المتأصلة في شخصية الفرد وسيرته الذاتية، و"تفسير علم النفس(*Erklärende Psychologie*) " ، والتي تركز على العلاقات السببية المتجذرة أساسًا في علم الأحياء .

كان إيمان ياسبرز الراسخ بأن المبادئ المنهجية لم تتأثر إلى حد كبير بالمواد الإضافية، دافعًا له لإضافة أقسام كاملة إلى النسخ الجديدة من الكتاب، وهي أقسام تكشف بوضوح عن رؤيته الفلسفية

للاعتبارات ذات الصلة بعلاج الأمراض العقلية. ومع ذلك، عارض ياسبرز محاولات تناول الأفكار الوجودية لفهم الأمراض العقلية. فبالنسبة له، لا يمكن أن يمرض الإنسان ككل، أو أن يُصيب المرض كيانه بأكمله، بل هناك دائمًا أجزاء منه تبقى سليمة غير مصابة بالمرض.

تجدر الإشارة إلى أن ظهور الطبعة الرابعة من كتاب" علم الأمراض النفسية العام " قد أُتيح على الرغم من حظر النشر الذي فُرض على ياسبرز منذ عام 1938 بسبب مقاومته الصريحة والحازمة للنظام النازي وولائه الدائم لزوجته اليهودية. ولعلّ استخدام العنوان نفسه من عام 1913 والطابع العلمي للكتاب، الذي غطى حقيقة تضمينه أقسامًا كبيرة تحمل بصمات فكره الفلسفي، كانا عاملين مساعدين في هذا الصدد. وعلى الرغم من توقفه عن ممارسة الطب النفسي، فقد احتفظ ياسبرز باهتمامه بعلم الأمراض النفسية وكان على دراية تامة بالتطورات في هذا المجال، لا سيما فيما يتعلق بالجوانب العصبية والجسدية للأمراض العقلية. ومع ذلك، بعد ظهور الطبعة الرابعة، طُبعت خمس طبعات أخرى بنفس تنسيق الطبعة الرابعة، وكان آخرها عام 1973. وتوجد ترجمة إنجليزية للطبعة السابعة فقط، وقد نُشرت عام 1963 من قِبل ج. هونيغ وميريام هاميلتون. لأسباب مختلفة – بدءًا من عدم مراعاة "الأسباب الحقيقية" للمرض العقلي، مرورًا بأسلوب الكتابة والحجج المحمّلة، ونقدها الشديد (وإن كان غير متسق) للتحليل النفسي، الذي كان يُعتبر في ذلك الوقت لا غنى عنه في أي دراسة لعلم الأمراض النفسية، وأسباب أخرى – كان استقبال كتاب علم الأمراض النفسية العام في البلدان الناطقة باللغة الإنكليزية بعيدًا كل البعد عن الحماس، باستثناء الأكثر احترامًا، بل كان في بعض الأحيان عدائيًا.

الكتابات الفلسفية..

شكّل كتاب ياسبرز الأول في النقاش الفلسفي، "سيكولوجية النظرات العالمية "، نموذجًا لتصنيف المواقف العقلية، والذي، على غرار نموذج فيبر للأنماط المثالية، كان يهدف إلى تقديم تفسير للنزعات النفسية الأساسية. وتتمثل الحجة الأساسية في هذا العمل في أن الحقيقة التكوينية للحياة العقلية البشرية هي الانقسام بين الذات والموضوع (الذات–الموضوع–الانقسام) وتُصنَّف الأشكال النفسية البشرية – أو النظرات العالمية – كلحظات متناقضة ضمن هذا التناقض التأسيسي، وهي تُعطي تعبيرًا نموذجيًا مميزًا للعلاقة بين الميول والحريات الذاتية للإنسان والظواهر الموضوعية التي تواجهها الذات. وعلى عكس فيبر،

جادل ياسبرز بأن بناء النظرات العالمية ليس عملية محايدة فحسب، تُحكم عليها بطريقة غير تقييمية. بل إن جميع النظرات العالمية تحتوي على عنصر من الاضطراب النفسي. تتضمن هذه النظرات استراتيجيات دفاعية وقمعية وتمويهية، وتتركز حول يقينيات زائفة أو أنماط عقلانية موضوعية زائفة، يلجأ إليها العقل البشري بحثًا عن الأمان وسط الاحتمالات اللامحدودة والمخيفة للوجود الإنساني. ونتيجة لذلك، تتخذ النظرات العالمية عادةً شكل أقفاص موضوعية (*Gehäuse*)، حيث يحصّن الوجود نفسه ضد المضامين والتجارب التي تهدد بتجاوز أو زعزعة القيود الدفاعية التي فرضها على عملياته. ورغم أن بعض النظرات العالمية تتضمن عنصرًا غير مشروط، فإن معظمها يمثل حدود جهاز عقلي مُشكّل. وهكذا، يرى ياسبرز أن مهمة التدخل النفسي هي توجيه الوجود الإنساني إلى ما وراء التناقضات المقيدة التي يستقر حولها، وتمكينه من مواجهة الاحتمالات الأكثر أصالة، للحياة الذاتية والموضوعية، التي يمحوها من خلال ميوله ومواقفه العقلانية المعتادة.

إلى جانب هذا التصنيف النفسي، يتضمن تحليل ياسبرز لنظريات العالم نقدًا أوسع للعقلانية البشرية. فقد أشار إلى أن معظم أنماط العقلانية هي أشكال وظيفية أو أيديولوجية ملائمة، تخدم وظائف ذاتية وموضوعية متميزة، وعادةً ما تقف عائقًا أمام المعرفة الحقيقية. ومع ذلك، فقد زعم أيضًا أن العقلانية تمتلك قدرات على التكامل التواصلي والتجاوز الذاتي الظاهري، وإذا ما مُورست بصدق، فإنها قادرة على تجاوز شكلها الوظيفي الضيق، والانفتاح على مضامين جديدة تتجاوز حدودها وتناقضاتها، وتطوير هياكل مفاهيمية جديدة وأكثر تماسكًا من الناحية المعرفية. ولذلك، أشار إلى ضرورة توسيع المفاهيم الإبستمولوجية الرسمية للعقلانية لإدراك أن التجربة والأفعال الملتزمة تُشكل المعرفة الحقيقية، وأن العقل لا يمكن، على الطريقة الديكارتية، فصله بشكل أحادي عن أسسه التاريخية والحسية والتجريبية والإرادية. لذا، منذ البداية، تأثر عمل ياسبرز، رغم منهجيته المتأثرة بفيبر، بفلسفة هيغل تأثراً عميقاً، وسعى إلى دمج شروط فينومينولوجيا هيغل في مذهب نفسي منهجي. في الواقع، في هذه المرحلة المبكرة من تطوره، ارتكز فكر ياسبرز على تعديل وجودي – أو كيركغاردي – للفلسفة الهيغلية. في هذا التعديل، نقل العملية الجدلية التي فسر من خلالها هيغل تجاوز التناقضات المعرفية في نشأة الوعي الذاتي إلى تحليل للتكوين المعرفي يرى أن حل تناقضات العقل يتم عبر تجارب حيوية، أو أفعال حاسمة من المواجهة الذاتية، أو تجاوز تواصلي.

في هذا العمل المبكر، قدّم ياسبرز عدة مفاهيم اكتسبت أهمية بالغة في مجمل أعماله. والأهم من ذلك، أن هذا العمل يتضمن نظرية الحد .(*Grenze*) يشير هذا المصطلح إلى كلٍّ من الأشكال والمواقف المعتادة للجهاز العقلي البشري، وتجارب العقل عندما يُدرك هذه المواقف كلحظات موضوعية زائفة ضمن بنيته المتناقضة، وعندما يتجاوز هذه الحدود من خلال إعادة توجيه نفسه بطرق جديدة تجاه ذاته وموضوعاته. وهكذا، في فلسفته المبكرة، منح ياسبرز مكانة مركزية لـ"مواقف الحد " .(*Grenzsituationen*)مواقف الحد هي لحظات، عادةً ما تكون مصحوبة بتجارب الخوف أو الذنب أو القلق الحاد، يواجه فيها العقل البشري قيود وضيق أشكاله القائمة، ويسمح لنفسه بالتخلي عن أمان محدوديته، وبالتالي الدخول في عالم جديد من الوعي الذاتي. وبالتزامن مع ذلك، يتضمن هذا العمل أيضًا نظرية اللا مشروط .(*das Unbedingte*) في هذه النظرية، جادل ياسبرز بأن المواقف الحدية هي لحظات غير مشروطة في الوجود الإنساني، حيث ينجذب العقل بفعل دوافع أو ضرورات قوية، تدفعه إلى كشف نفسه لحدود وعيه والسعي وراء أنماط معرفية أسمى أو أكثر تأملاً. وهكذا، يقترح ياسبرز مفهوم "غير المشروط"، وهو مصطلح مستوحى من مذاهب كانت في التراجع التركيبي، كدافع حيوي في العقل، حيث يواجه العقل شكله كشكل مشروط أو محدود، ويرغب في تجاوز حدود هذا الشكل. وفي هذا السياق، قدمت أعمال ياسبرز النفسية المبكرة، وإن كانت غير مكتملة، مفهوم التواصل الوجودي.في هذا السياق، جادل بأن حرية الوعي في تجاوز حدوده وتناقضاته لا تتحقق إلا من خلال الكلام: أي كعملية يرتقي فيها الوعي فوق حدوده عبر تواصل مكثف مع الآخرين، حيث يُسهم التواصل الملتزم في تعليق الأحكام المسبقة والمواقف الجامدة للوعي. ولذلك، فإن الوعي المنفتح وجوديًا هو دائمًا تواصلي، ولا يستطيع الوعي أن يُفصّل إمكانياته الوجودية بالكامل إلا عندما يتخلى عن بنيته الأحادية. في هذا المذهب المبكر للتواصل، ساهم ياسبرز في تشكيل تحول تواصلي وتفاعلي أوسع في الفلسفة الألمانية؛ بل إن صدى تأويله الوجودي ظل واضحًا في أعمال هانز–جورج غادامير وبول ريكور اللاحقة. لكن، وبشكل أقل وضوحًا، وجّه في هذا المذهب الفكر الوجودي المبكر بعيدًا عن ارتباطه الأصلي بكيركغارد ونيتشه، ورغم استيعابه لعناصر كيركغارد من الحسم والالتزام الشديد، فقد زعم أن عبادة كيركغارد للباطنية، المتمحورة حول صمت الحياة الداخلية، كانت محاولة فاشلة لتصور شروط الأصالة الإنسانية. وجادل بأن قرار تجاوز الذات الحقيقي والوحدة المعرفية لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال المشاركة المشتركة في الحوار.

يُعدّ كتاب "الفلسفة (1932) "، المؤلف من ثلاثة مجلدات، أهمّ منشورات ياسبرز في مرحلته المبكرة، وربما في مسيرته المهنية بأكملها .في هذا العمل، حافظ على تركيزه الهيغلي الجزئي الذي ميّز منشوراته السابقة، واتبع روح الفينومينولوجيا الهيغلية في تقديمه شرحًا لتكوين الوعي الإنساني، الذي يُدرك الوعي باعتباره نتاجًا للمعرفة المباشرة، ومتقدمًا عبر سلسلة من التناقضات نحو مستوى من التأمل الموحد الصادق ومعرفة الذات. في هذا السياق، أكّد ياسبرز مجددًا على فكرة أن التناقضات التي يواجهها العقل ويحلّها في تجلّيه كحقيقة هي في آنٍ واحد تناقضات معرفية وتجريبية، وأنّ لحظات الوجود الإنساني المعاشة ذات أهمية تكوينية معرفية دائمة لتكوين الوعي. في الواقع، بقيت هذه الأفكار محورية في فلسفة ياسبرز طوال تطورها اللاحق. في أعماله الفلسفية اللاحقة، ولا سيما كتابه "عن الحقيقة (1947) " ، واصل إبراز النماذج المعرفية المستمدة من الظواهرية الهيغلية، واقترح مفهومًا للشمولية (*das Umgreifende*) لتحديد التدرجات الظواهرية للفكر والوجود. ومع ذلك، فإلى جانب اهتمامه بالمواضيع الهيغلية، تتضمن الفلسفة أيضًا إعادة بناء جوهرية للمواضيع الكانتية، إذ تستند إلى إعادة بناء نقدية لمذهب كانت في الأفكار المتعالية، وتتمحور حول مسعى لشرح عناصر المثالية الكانتية باعتبارها مذهبًا منهجيًا للتجربة الذاتية الميتافيزيقية.

تحمل مجلدات كتاب" الفلسفة " الثلاثة العناوين التالية : (التوجه الفلسفي للعالم) المجلد الأول (وإضاءة الوجود) المجلد الثاني(، والميتافيزيقا) المجلد الثالث). وقد كُتبت هذه المجلدات خلال عشرينيات القرن العشرين بعد حصول ياسبرز على منصب الأستاذية الكاملة في جامعة هايدلبرغ. يصف كل مجلد من هذا الكتاب نمطًا وجوديًا محددًا :فالتوجه ، والوجود ، والتجاوز الميتافيزيقي هي الأنماط الوجودية الثلاثة الأساسية للحياة البشرية. وفي الوقت نفسه، يصف كل مجلد أيضًا طريقة معرفة محددة، ترتبط بنمط وجودي: فالتوجه يتحدد معرفيًا من خلال المعرفة القابلة للتحقق الموضوعي أو من خلال البراهين الإيجابية أو العلمية، والوجود يتحدد من خلال التأمل الذاتي/الوجودي، والتجاوز يتحدد من خلال التفسير الرمزي للمضامين الميتافيزيقية. صُممت المجلدات الثلاثة لكتاب" الفلسفة " لتُبين كيف يتطور الوجود البشري والمعرفة البشرية بالضرورة من مستوى وجودي ومستوى معرفي إلى آخر، وكيف يتطور الوعي تدريجيًا، من خلال مواجهة تناقضاته الذاتية، من حالة آنية غير مُتشكلة نحو حالة من الوحدة والتجربة الذاتية المتكاملة. وبالتالي، ترتبط المجلدات الثلاثة معًا بحجة مفادها أنه على مستوى المعرفة الموضوعية المباشرة

– أي التوجه في العالم – يطرح الوعي البشري أسئلة وجودية ذاتية حول ذاته وأسس حقيقته، وهي أسئلة لا يستطيع حلها على هذا المستوى من الوعي، ويواجه تناقضات تدعوه إلى التأمل الوجودي في ذاته والارتقاء به إلى مستوى الوجود أو التأمل الذاتي الملتزم وجوديًا. عند هذا المستوى الأعلى من الوعي، يطرح الوجود أسئلة ميتافيزيقية حول ذاته وأصله، لا يمكنه البدء في الإجابة عنها دون إدراك أن الوجود، على مستوى أصلي أو أصيل، متعالٍ ، وأن حقيقته ميتافيزيقية.

يتوافق كل مستوى من مستويات الوجود في فلسفة ياسبرز مع أحد الأفكار المتعالية الكانتية، وتُوضح أنماط التفكير والمعرفة التي تُحدد كل مستوى من مستويات الوجود المحتوى الفكري لأفكار كانت. يتوافق مستوى التوجه في العالم مع فكرة وحدة العالم؛ ويتوافق مستوى الوجود مع فكرة خلود الروح؛ ويتوافق مستوى التجاوز مع فكرة الوجود الضروري لله. ومع ذلك، فبينما رأى كانت الأفكار المتعالية على أنها أفكار تنظيمية شكلية للعقل، لا تُسهم، في أحسن الأحوال، إلا في إضفاء تنظيم منهجي على العمليات الكامنة للعقل، فقد نظر ياسبرز إلى الأفكار المتعالية على أنها عوالم للمعرفة المعيشة، يمر بها الوعي، ومن خلال تناقضاته المُختبرة يتشكل ويتوجه إلى معرفة ذاته كشيء متعالٍ . وهكذا، نسب ياسبرز إلى الأفكار المتعالية محتوى جوهريًا وتجريبيًا. لا تُحدد الأفكار، كما كانت، الحدود الشكلية للمعرفة فحسب، ولا تفصل بين حدود الحسّ والمسائل التأملية أو الميتافيزيقية. بل تُوفر الأفكار دافعًا دائمًا للعقل لتجاوز حدوده، والسعي نحو معرفة أكثر سموًا لذاته ومضامينه وإمكانياته. ولذلك، حوّل ياسبرز في فلسفته الناضجة الأفكار المتعالية الكانتية إلى أفكار التجاوز ، حيث يُدرك الوعي إمكانية المعرفة الجوهرية أو الميتافيزيقية ومعرفة الذات، ويُفصّلها. وكان من بين العناصر الأساسية لهذا التعديل على مفهوم كانت للأفكار نقدٌ ضمني، ولكنه جوهري، للتمييز الكانتي الرئيسي بين المتعالي والمتعالي. وعلى النقيض من القراءات الكانتية الجديدة المعاصرة لكانت، والتي كانت مستعدة للاعتراف بالعنصر المثالي في المثالية الكانتية فقط، على الأكثر، كإطار تنظيمي، ناتج عن وظائف العقل المستقلة، جادل ياسبرز بأن الفلسفة الكانتية تحتوي دائمًا على رؤية للتجاوز المجرب وتقمعها في نفس الوقت، وأنه ينبغي النظر إلى الأفكار الكانتية على أنها تحديات للعقل للتفكير خارج حدود استقلاليته، نحو مضامين جديدة وأكثر أصالة، وتجارب ذاتية وحريات.

مع ذلك، لم يجادل ياسبرز، باستبداله مصطلح "المتعالي" بمصطلح "المتجاوز"، بأن المضامين المتعالية قابلة للتحقيق كعناصر إيجابية للمعرفة الإنسانية. بل على العكس، جادل بأن الوعي لا يكتسب

معرفة تجاوزه إلا من خلال التأمل في رموز التجاوز الزائلة ، التي تدل على الحدود المطلقة للوعي الإنساني. قد تُصادف هذه الرموز في الطبيعة، أو في الفن، أو في الرموز الدينية، أو في الفلسفة الميتافيزيقية. لكن من سمات جميع هذه الرموز أنها، في إشارتها إلى التجاوز، تحجب المعرفة المتعالية عن الوعي، وأنها لا يمكن أن تكون إلا مؤشرات على استحالة هذه المعرفة. وبالتالي، فإن موقف الوعي الذي يُدرك حدوده وتجاوزه المحتمل لا يمكن أن يكون إلا موقفًا من التعثر أو الفشل (شايترن)، ولا يمكن للتجاوز أن يتغلغل في الوعي الإنساني إلا كتجربة للعجز المطلق لهذا الوعي عن تفسير طبيعته الأصلية أو الميتافيزيقية. على هذا المستوى، ورغم معارضته للشكلية والفراغ التجريبي للفلسفة الكانتية الجديدة، فقد قبل ياسبرز أيضًا الحظر الكانتي الأصلي للمعرفة المتعالية أو الميتافيزيقية الإيجابية. جادل بأن الوعي دائمًا ما يمتلك توجهًا ميتافيزيقيًا ليكون مختلفًا عن أشكاله الموجودة أو متجاوزًا لها، لكنه ادعى أيضًا أن هذا التوجه لا يمكن أن يبلغ ذروته إلا في أزمة التجاوز، أو في أزمة الميتافيزيقا. وبالتالي، فرغم إعادة ترسيخ الجوانب الميتافيزيقية للفلسفة الكانتية، فإن ميتافيزيقا ياسبرز تظل ميتافيزيقا ما بعد كانتية: إنها ميتافيزيقا سلبية ، تقاوم أي اقتراح بأن العقل البشري قد يقدم تفسيرًا للجواهر الميتافيزيقية، وتُعرّف مجال المعنى البشري بأنه مُشكّل من خلال اختلافه عن المعرفة الميتافيزيقية الإيجابية، لكنها مع ذلك ترى العقل، على طريقة كيركغارد، مدفوعًا برغبة يائسة في التجاوز الميتافيزيقي.

لقد ندد فلاسفة آخرون، ولا سيما أولئك المنتمون إلى مدرسة فرانكفورت، بإعادة بناء ياسبرز الميتافيزيقية للمثالية الكانتية، باعتبارها مرحلةً في مسار أوسع لانحطاط معرفي، يُترجم بشكل خاطئ المضامين الميتافيزيقية المطلقة إلى لحظات من التجربة الداخلية الإنسانية. مع ذلك، ثمة أسباب وجيهة للقول بأن ميتافيزيقا ياسبرز تُشكل نقدًا هامًا للتفسيرات المستقلة تمامًا للعقلانية التي طرحتها الكانتية الجديدة، بل وتتطابق مع انتقادات الشكلية الكانتية التي استندت إليها الفلسفات المرتبطة على نطاق واسع بمدرسة فرانكفورت. لقد أدرك ياسبرز أن التجاوزية الكانتية قمعت دافعًا عميقًا نحو التجاوز، وقد أُهمل هذا الجانب من فكر كانت إهمالًا بالغًا من قِبل المفسرين الذين رأوا في فلسفة كانت مذهبًا للحلولية المطلقة أو الاستقلالية. لقد استبق ياسبرز، وإن كان ذلك من منظور ذاتي، حجة أدورنو اللاحقة القائلة بأن المثالية المتعالية عند كانت تنطوي دائمًا على رثاء لانغلاق العقل أمام التجاوز. ويمكن وضع ياسبرز وأدورنو – على الرغم من اختلافاتهما السياسية– في خانة واحدة كمفكرين سعيا إلى إحياء الآثار الميتافيزيقية في

المثالية. على أي حال، فإن إصرار ياسبرز، خلافًا لكانت والكانتيين الجدد، على أن العقل نفسه ليس المصدر الوحيد للمعرفة، وأن مهمة العقل ليست تقييد نطاق صلاحيته في مواجهة التجاوز، بل تجاوز حدوده المعرفية واستشراف مضامين لا يمكن توليدها بوظائفه المستقلة، يستحق أن يُعاد تقييمه كمساهمة بالغة الأهمية في النقاشات الحديثة حول الميتافيزيقا ونظرية المعرفة.

الفلسفة والدين..

لا يصعب تلمس تأثيرات فيبر، وكانت، وهيغل، وكيركغارد في أعمال ياسبرز. وبالمثل، يسهل أيضاً تحديد أوجه تأثره بنيتشه. فقد استعار ياسبرز من نيتشه منهجاً نفسياً في تناول المنظورات الفلسفية، ومثله، مال إلى النظر إلى الادعاءات الفلسفية لا كمسلمات قابلة للتحقق شكلياً، بل كتعبير عن ميول عقلية كامنة. ولهذا السبب، استعار أيضاً من نيتشه نهجاً رافضاً للادعاءات المطلقة بالمعرفة الصادقة، وما نتج عنه من رفضٍ لكل نزعة عقلانية خالصة. والأهم من ذلك، أنه، على غرار هايدغر، استقى من نيتشه منهجاً نقدياً تجاه بقايا الميتافيزيقا في الفلسفة الأوروبية، وأنكر وجود جواهر خارجية أو غير مبالية بالتجربة الإنسانية. وفي الوقت نفسه، وضع ياسبرز فلسفته بوضوح في مقابل العديد من عناصر التراث النيتشوي. كان من الواضح أنه يعارض النزعة الحيوية الطبيعية التي تطورت من أعمال نيتشه، وكان تركيزه على الذاتية الإنسانية كموقع للتسامي الصادق يعني أن كيركغارد، وليس نيتشه، كان النموذج الوجودي لأعماله.

كان لشيلنغ تأثيرٌ تكوينيٌّ هامٌ آخر على فلسفة ياسبرز. فرغم انتقاده أحيانًا للتصوف البسيط وميتافيزيقا العمليات الطبيعية في أعمال شيلينج الدينية، إلا أن إعادة بنائه الميتافيزيقية للمثالية الكانتية أعادت صياغة بعض عناصر الفلسفة الوضعية لشيلنغ في مراحله اللاحقة، وعكست محاولته تفسير المعرفة الصادقة كتجربة معرفية يتجلى فيها العقل من خلال تفاعله مع مضامين أخرى غير شكله. وفي هذا الصدد، تبنى ياسبرز من شيلينغ نموذجًا غير هويوي للحياة المعرفية، ينظر إلى المعرفة الحقيقية (أو الصادقة) على أنها مكتسبة من خلال أفعال التفسير والكشف الإيجابيين على حدود الوعي العقلاني. وخلافًا لشيلنغ، رفض ياسبرز دائمًا ادعاءات المعرفة الوضعية المطلقة؛ وبهذا المعنى، ظل – في التحليل النهائي – فيلسوفًا كانتيا. ومع ذلك، فقد كان متعاطفًا بوضوح مع نقد شيلنغ للسلبية المعرفية الشكلية. في الواقع، من خلال تحويله التأويلي للمثالية إلى ميتافيزيقا للتفسير الرمزي، يمكن اعتباره، مثل كل من شيلنغ ويوهان جورج هامان من قبله، فيلسوفًا كان مصممًا على إعادة استحضار حقيقة الوحي، كمحتوى معرفي مطلق وغير

متطابق، في مواجهة الأدلة العقلانية لنظرية المعرفة، وبالتالي على وضع منهجية تفسيرية تتناسب مع مفهوم الحقيقة كما تم الكشف عنها أو إظهارها.

يُقدّم التأثير الخفيّ، وإن كان بالغ الأهمية، لشيلنغ على فلسفة ياسبرز مفتاحًا لفهم فلسفته الدينية. فعلى مستوىً ما، كان ياسبرز ملتزمًا فلسفيًا باستعادة المضامين الدينية بتعاطف. وكان مُصرًّا على أن الحقيقة لا يُمكن تفسيرها إلا كعنصر من عناصر الاختلاف الجذري في العقل، أو كتجربة العقل لحدوده. وبالمثل، كان مُصرًّا على أن شروط الحرية الإنسانية لا تنشأ من العقل البشري وحده، بل تُعاش كتدخلات من التجاوز في الفكر العقلاني. لهذه الأسباب، تتعاطف فلسفته مع الآثار الأساسية للاهوت الوحي، وتُؤيّد بحذر الادعاء الفلسفي الجوهري للوحي: ألا وهو أن الحقيقة هي كشف عن الاختلاف (التجاوز) للعقل، أو على الأقل لحظة مُفسّرة من الاختلاف في العقل. ومع ذلك، لا يُمكن وصف ياسبرز، بأي شكل من الأشكال، بأنه فيلسوف ديني. في الواقع، كان شديد الانتقاد لنظرية الوحي، وللأديان الأرثوذكسية عمومًا، لعدة أسباب منفصلة تمامًا. أولًا، جادل بأن جوهر الدين يتشكل دائمًا من خلال ادعاء زائف بالموضوعية أو المطلقية للحقيقة، وهو ادعاء يعجز عن إدراك أن التجاوز يحدث بأشكال متعددة، وأن الحقائق المتعالية لا يمكن تجسيدها في مجموعة من الوقائع أو الروايات. ولذلك، فإن النظرات الدينية للعالم هي أمثلة على مواقف عقلية محدودة، تسعى إلى التمسك بعقيدة موحدة لتجنب مواجهة عدم اليقين وعدم الاستقرار الذي يكتنف التجاوز. فباعتبار التجاوز عنصرًا متحققًا من الوحي، يعيق الدين في الواقع قدرة جميع الناس على التجاوز؛ إذ يدّعي الدين أنه يقدم التجاوز، ولكنه في الحقيقة يعرقله. ثانيًا، إذًا، فإنّ ادعاءات الحقيقة المُوحى بها، باعتبارها أسسًا للعقائد والتعاليم الجامدة، تُقصي الجانب النقدي والتواصلي للعقل البشري، وتُقوّض الشروط الحوارية اللازمة للتسامي والمعرفة الوجودية. ولذلك، نظر ياسبرز إلى الدين التقليدي باعتباره عائقًا أمام التواصل، إذ يفرض قيودًا عقائدية على قدرة الإنسان المشتركة على الصدق والتسامي. ومع ذلك، وبصفته فيلسوفًا للتسامي، كان واضحًا أيضًا أن الصدق البشري، أو الإنسانية بشكل عام، لا يُمكن تصوره دون استعادة المناهج التفسيرية الدينية ودون إدراك حقيقة أن المضامين التأسيسية للفلسفة متعالية. ونتيجةً لذلك، يُمكن اعتبار جزء كبير من أعماله محاولةً لتحرير مضامين الفكر الديني من العقائد الجامدة المفروضة عليها باسم الدين المنظم.

تُعدّ فكرة الإيمان الفلسفي الفكرة المحورية في فلسفة ياسبرز للدين ، وقد تمّ تفصيلها بشكلٍ مُستفيض في كتابيه " الإيمان الفلسفي (1948) "و " الإيمان الفلسفي في مواجهة الوحي المسيحي .(1962) " يحتوي هذا المفهوم، المعروف بصعوبته، على عددٍ من المعاني المُتباينة. أولًا، يعني أن الفلسفة الحقيقية يجب أن تسترشد بالإيمان بأصل الوجود الإنساني المُتعالي، وأن الفلسفة التي تستبعد أو تتجاهل هذا الأصل المُتعالي لا ترقى إلى أعلى مراتب الفلسفة. ثانيًا، يعني أيضًا أن الفلسفة الحقيقية لا يُمكنها ببساطة التخلي عن العقلانية الفلسفية لصالح حقائق مُعلنة أو عقائد، وأن للعقلانية دورًا أساسيًا في تكوين المعرفة المُطلقة. في هذا السياق، أعاد ياسبرز النظر في بعض الجدالات المتعلقة بالعلاقة بين الدين والفلسفة، والتي شكلت فلسفة الهيغليين الشباب في ثلاثينيات القرن التاسع عشر. ومثلهم، أصرّ على أن الإيمان يحتاج إلى الفلسفة، وأن الإيمان يُقلل من قيمة مضامينه كلما تم الإعلان عنها بشكل قاطع أو إيجابي. ثالثًا، يشير هذا المفهوم أيضًا إلى أن أدلة الإيمان دائمًا ما تكون متناقضة وغير مؤكدة، وأن من يسعى إلى معرفة هذه المضامين عليه أن يتبنى موقفًا من النسبية الفلسفية والحوار البنّاء: فإذا أدى الإيمان إلى التشدد، فإنه يُقوّض فورًا ادعاءاته بتقديم معرفة متعالية. وهكذا، يُطرح مفهوم الإيمان الفلسفي، لا كعقيدة للوحي الواقعي أو التجاوز المُنجز، بل كدليل للتواصل المتعالي، يُوازن بين عنصر الكشف في الإيمان وبين رفض فلسفي نقدي لمطلقية الادعاءات الدينية، والذي يُصرّ بالتالي على ضرورة قبول المعرفة المتعالية على أنها نسبية وغير مكتملة. في هذا السياق، بنى ياسبرز الجوانب الدينية لفلسفته على جدلية دقيقة بين الطرحين اللاهوتي والأنثروبولوجي. فقد أشار، من جهة، إلى أن التفسيرات العلمانية البحتة للحياة البشرية تحجب الوجود عن إمكانياته وحرياته المتعالية الأصلية. وفي الوقت نفسه، أشار أيضًا إلى أن التحليل اللاهوتي البحت يغلق على الإنسانية أبوابها أمام نسبية حقائقها وهشاشتها، وأمام عمليات التواصل التي تُكشف من خلالها هذه الحقائق. إن الفلسفة القادرة على احتضان العلمانية ونسبتها، واحتضان الدين ونسبته في آنٍ واحد، هي وحدها القادرة على إجراء بحث وجودي وافٍ، أما الفلسفة التي تتخلى، في أي من الاتجاهين، عن هذا التوازن الجدلي بين هذين الالتزامين، فإنها تفقد جوهرها الفلسفي.

كان هذا الموقف النقدي–التصحيحي تجاه البحث الديني أساسيًا في العديد من الجدالات العامة التي خاضها ياسبرز. تعرضت العناصر الدينية في أعماله لهجوم من اللاهوتي الكالفيني كارل بارث، الذي ندد بافتقار مفهومه عن التجاوز إلى مضمون ديني موضوعي. والأهم من ذلك، أن ياسبرز دخل أيضًا في

جدل طويل ومؤثر مع رودولف بولتمان، ولا تزال أصداؤه تتردد في النقاش اللاهوتي الليبرالي. تمحور هذا الجدل حول نقد ياسبرز لاستراتيجية بولتمان في نزع الطابع الأسطوري عن الكتاب المقدس: أي محاولته توضيح محتوى الحقائق في الكتاب المقدس من خلال إزالة العناصر التاريخية أو الأسطورية من العهد الجديد، والتركيز، في تفسير ذي طابع وجودي، على الجوانب الدائمة الصلاحية والحاضرة في الكتاب المقدس. عندما طرح بولتمان لأول مرة هذا النهج المُزيل للأساطير، كان ياسبرز يُنسب على نطاق واسع (وإن كان ذلك خطأً) إلى الجناح الليبرالي في اللاهوت البروتستانتي، وربما كان من المتوقع أن يُبدي تعاطفه مع منهج بولتمان التأويلي. إلا أن ياسبرز انقلب عليه بشدة. فقد اتهمه، أولًا، بنشر عقلانية زائفة في النقاش الديني؛ ثانيًا، بتجاهل مظاهر التجارب الروحية لأولئك الذين عاشوا في العصور التاريخية السابقة، والمُتضمنة في الأساطير؛ ثالثًا، بربط جميع التجارب المتعالية بنظام معياري للقيمة النسبية، وبالتالي فرض نظام جديد من الأرثوذكسية في اللاهوت وتقويض الإمكانيات المتعددة للتسامي. ولذلك، وفي معارضته لبولتمان، خلص ياسبرز إلى أن التأويل الديني القائم على الليبرالية المطلقة هو وحده الكفيلة بقد يكون استبعاد جميع المذاهب التقليدية مناسبًا لمهمة تفسير المضامين المتعالية للحياة البشرية. وأشار إلى أن أساليب التفسير التي تمحو آثار الظروف التاريخية من مفهوم التجاوز، وتختزله إلى حقيقة دينية واحدة محددة مسبقًا، تفشل في التفكير في الأشكال المتعددة والمتنوعة التي يمكن من خلالها تفسير التجاوز، وتفترض خطأً إمكانية حصر التجاوز في فئات عقيدة واحدة حصرية، كما أنها تقلل من شأن التباين التاريخي الجوهري للتجاوز. ونتيجة لذلك، جادل ياسبرز ضمنيًا بأهمية الأشكال الأسطورية أو الرمزية في البحث الديني، وأشار إلى أن كلًا من الأسطورة والدين يحتويان، بدرجة مماثلة، على بقايا التجاوز المُفسَّرة. بلغ تحليله للدين ذروته في مناقشة اللاهوت الثالوث، الذي أكد، على غرار تحليل لودفيج فويرباخ الأنثروبولوجي، على ضرورة تفسير أجزاء الثالوث الثلاثة، لا كعناصر واقعية للألوهية، بل كرموز للإمكانات الإنسانية. وفي هذا السياق، أولى أهمية خاصة للأقنوم الثاني من الثالوث، يسوع المسيح، باعتباره رمزًا للإمكانات الوجودية الإنسانية للتغيير الداخلي والتحول والتغيير الجذري. وخلص إلى أنه أينما تم تعريف هذا الرمز بشكل جوهري على أنه مجرد حقيقة إيجابية للإيمان، فإن حرية التجاوز التي يتم الحصول عليها من خلال التفسير المتعاطف مع هذا الرمز واستعادته تصبح معاقة.

كان الدافع وراء اهتمام ياسبرز بالدين هو عزمه على تحويل عناصر العقيدة الدينية إلى تفسير لإمكانيات الإنسان وحرياته. في الواقع، لم يكن طموحه من وراء عمله في الدين والأسطورة أقل من تحرير مفهوم التجاوز من اللاهوت، والسماح بتحويل تفسيري للجواهر المتصورة دينياً إلى لحظات حرة من التفسير الذاتي للإنسان. إذا أمكن وضع فكره في مجال الخطاب اللاهوتي، فإن منهجه في التعامل مع الدين يتسم بالليبرالية والتسامح المطلقين، مما يرفض الادعاء بأن التجاوز يُكشف عنه حصرياً أو حتى بشكل رئيسي من خلال الدين. لقد ألمح إلى أن حقيقة الدين لا تصبح حقيقية إلا إذا فُسرت كحقيقة إنسانية، لا كحقيقة خارجية أو سابقة للبشرية. مع ذلك، فإن الدين في صورته التقليدية عادةً ما يحول دون معرفة التجاوز التي يدعي تقديمها.

سياسات الإنسانية..

لا تُعدّ هذه التأملات الإنسانية في فلسفة الدين عناصرَ معزولةً في أعمال ياسبرز. في الواقع، تطوّر نقده للدوغمائية الدينية بالتزامن مع مذهبٍ أوسع نطاقًا في الإنسانية، والذي أصبح في نهاية المطاف المكوّنَ الأساسي لأعماله اللاحقة. يمكن القول إن ياسبرز كان إنسانيًا منذ البداية؛ فإذا عُرّفت الإنسانية بأنها مذهب يسعى إلى تفسير خصوصية الحياة البشرية وتفرّدها وكرامتها، فإن أعماله، منذ البداية، يُمكن اعتبارها شكلًا من أشكال الإنسانية الفلسفية. تتخلل جميع أعماله المبكرة فكرةٌ مفادها أن البشر يتميّزون بامتلاكهم سماتٍ أصيلةً للوجود والتجاوز، أي بقدرتهم على طرح تساؤلاتٍ حول أنفسهم وحرياتهم لا يُمكن طرحها بمصطلحاتٍ ماديةٍ أو علمية، وبقدرتهم الناتجة على التغيير الجذري والتحوّل الذاتي والتجاوز. وبالتالي، فإن الإنسانية الحقيقية هي شرطٌ للاستقلال الذاتي الحر والأصالة المتعالية. بشكل عام، يمكن تقسيم الوجودية بين فلاسفة، مثل جان بول سارتر، الذي عرّف الوجودية بأنها نزعة إنسانية، وفلاسفة آخرين، مثل هايدغر، الذين رأوا في تنظيم الفلسفة حول تحليل الحتمية البشرية تحريفًا ميتافيزيقيًا للفلسفة. وينتمي ياسبرز بوضوح إلى الفئة الأولى من الفلاسفة الوجوديين.

في كتاباته بعد عام 1945، ولا سيما في كتابيه " أصل التاريخ وغايته "(1949) و " القنبلة الذرية ومستقبل البشرية " (1961)، بنى ياسبرز أعماله بشكل واضح على أساس المذهب الإنساني. ومنذ ذلك الحين، أولى أهمية أكبر للشروط الاجتماعية والجماعية لسلامة الإنسان، وخفف من حدة تصوره السابق

للذات باعتبارها منبع الحرية الإنسانية. في الواقع، حتى مصطلح " الوجود (*Existenz*) "أصبح نادرًا في منشوراته بعد عام 1945، واستُبدل إلى حد كبير بأفكار عن الإنسانية المشتركة، التي لا تقوم على تجارب التحول الداخلي الحاسمة، بل على موارد الثقافة والتقاليد والحياة السياسية ذات الطابع الأخلاقي. وبالتالي، لم يكن التحول نحو التفكير الإنساني هو المحور الأساسي لهذه الأعمال اللاحقة فحسب، بل كان أيضًا بحثًا في سياسات الإنسانية والشروط الإنسانية المميزة للوجود السياسي.

في إعادة صياغة شاملة لأعماله السياسية اللاحقة، جادل بأن ظهور الشمولية الأوروبية – التي تجسدت في كل من الاشتراكية القومية والشيوعية – كان نتيجة لتراجع الإنسانية السياسية وتزايد هيمنة أنماط العقلانية التقنية أو الأداتية، مما يُضعف الموارد الأصيلة للحياة البشرية. ولذلك، سعى إلى تقديم تصور لنظام سياسي إنساني قادر على توفير حصن منيع ضد اللاإنسانية الشمولية. أولًا، جادل بأن النظام السياسي الإنساني يجب أن يستند إلى تراث ثقافي متكامل، بحيث يستطيع البشر تفسير رموز نزاهتهم في المضامين الأخلاقية للثقافة الوطنية. وأشار إلى أن الخيانة السياسية للإنسانية عادةً ما تكون مصحوبة، بل وتفترض مسبقًا، خيانة ثقافية للإنسانية، وأن الحكم الشمولي ينشأ عادةً من تآكل الثقافة أو إخضاعها للأداتية. في القرن التاسع عشر، جادل ماركس بأن الداء الرجعي للسياسة الألمانية كان ناتجًا عن حقيقة أن المجتمع الألماني اعتاد السماح للثقافة بأن تحل محل السياسة، وأن تحدد النخبة البرجوازية المتعلمة غير المسيسة نسبيًا.[*Bildungsbürgertum*] باعتبارها ركيزة النظام الاجتماعي وحكم التقدم. رد ياسبرز على هذا الوصف لألمانيا بالقول إن المجتمعات التي تقوض الدور الثقافي للنخبة البرجوازية غير مستقرة بطبيعتها، وأن للبرجوازية المتعلمة دورًا أساسيًا في الحفاظ على شروط الثقافة الديمقراطية. ثانيًا، جادل بأن النظام السياسي البشري يجب أن يقوم على التواصل الحر بين المواطنين: فالحرية التواصلية شرط أساسي للفضيلة العامة. ومن ثم، ألمح إلى أن النظام السياسي البشري من المرجح أن يكون نوعًا من الديمقراطية، قائمًا على قدر من التوافق العام. ومثل آرندت، خلص في الواقع إلى أن التفكك الاجتماعي يخلق ثقافات من المرجح أن تزدهر فيها الشمولية، وأن النقاش غير المنظم في المجال العام هو وحده القادر على معالجة هذا المرض الكامن في المجتمع الجماهيري. ثالثًا، جادل بأن موارد التخطيط التكنولوجي والعلمي والاقتصادي التي يستخدمها النظام السياسي يجب أن تبقى عند الحد الأدنى، وأن وجود مجال غير مخطط له للتفاعل البشري ضروري للحفاظ على النظام السياسي البشري. في هذا الصدد، عارض بشدة جميع

النزعات نحو الحكم التكنوقراطي، التي رصدها في كل من الكتلة الشيوعية في أوروبا الشرقية، وفي دولة الرفاه سريعة التوسع في جمهورية ألمانيا الاتحادية في عهد أديناور. وأكد أن التكنوقراطية هي الشكل الموضوعي للنزعات الأداتية في العقل البشري، وإذا لم تُوازن بالموارد البشرية المتكاملة للتواصل الثقافي أو العقلاني، فمن المرجح أن تؤدي إلى حكومة قمعية. وفي هذا السياق، اقترب من الصيغ الشائعة لليبرالية السياسية، وأيّد الحكومة المحدودة، والحرية الثقافية والاقتصادية النسبية، وحماية المجتمع من التوجيه السياسي غير الخاضع للمساءلة. رابعًا، جادل أيضًا بأن النظام السياسي البشري يتطلب جهازًا دستوريًا، يُكرّس الحقوق الأساسية، ويفرض نظامًا أخلاقيًا وقانونيًا على عمليات الدولة، ويُقيّد الصلاحيات المطلقة للجهاز السياسي. ومثل كانت، دعا إلى إنشاء اتحاد دولي للدول، بدساتير وقوانين ومحاكم دولية مشتركة. خامساً، مع ذلك، فقد احتفظ أيضاً بجوانب من النظرة الديمقراطية النخبوية التي ورثها أولاً من فيبر، واستمر في القول بأن النظام السياسي البشري يجب أن يدعمه ويوجهه أشخاص عقلانيون أو نخب مسؤولة.

بعد صدمات الاشتراكية الوطنية والحرب، يمكن القول إن فلسفة ياسبرز السياسية لم تتجاوز قط موقفًا متشككًا تجاه الديمقراطية المطلقة، ولم تتخلَّ كتاباته السياسية تمامًا عن شعوره بأن المجتمع الألماني لم يكن متطورًا بما يكفي لدعم الديمقراطية، وأن الألمان بحاجة إلى التعليم والتوجيه لترسيخ الديمقراطية. حتى في كتاباته الأخيرة في ستينيات القرن العشرين، والتي أعلن فيها دعمًا مبدئيًا لأنشطة الحركة الطلابية حوالي عام 1968، بقيت آثار تعاطفه مع الديمقراطية النخبوية. على الرغم من أهميته في السياسة الألمانية الحديثة، إلا أن فلسفته السياسية كانت دائمًا متخلفة بعض الشيء عن عصرها، وظل موقفه متجذرًا في المثل العليا الشخصية للدولة التي ميزت الثقافة السياسية الليبرالية القديمة لألمانيا الإمبراطورية، واستمرت في الأطراف الليبرالية المحافظة لجمهورية فايمار.

ترك ياسبرز كتابه "الفلاسفة العظماء " غير مكتمل ، والذي كان هدفه المعلن "تعزيز السعادة التي تنبع من لقاء العظماء ومشاركة أفكارهم"، وقد اعتمد فيه على منهجه الشخصي القائم على التساؤل والنضال الدائمين. يُعدّ هذا الكتاب مشروعًا ضخمًا في تاريخ الفلسفة العالمي، وقد أبدعه فلاسفة بارزون ألهموا الفكر الإنساني. كان ياسبرز يؤمن بأننا لا نصل إلى ذواتنا وإلى الحكمة إلا من خلال التواصل مع الآخرين، ولذا اعتبر الفلاسفة الذين تناولهم في هذا الكتاب "معاصرين أبديين" و"مثيري التساؤلات" بمعنى المفكرين الذين غلب عليهم الشك واليأس. صدر المجلدان الأولان من هذا العمل عام 1958، بينما جُمع

المجلدان الثالث والرابع من الكم الهائل من أوراقه التي نُشرت بعد وفاته. ومع ذلك، تمكّن المحرران إرماث وإيرليخ من تأليف كتاب متماسك، يُغطي، وفقًا لخطة ياسبرز، بشكل أساسي الفلاسفة الذين أطلق عليهم اسم "مثيري التساؤلات": المفكرين الذين غلب عليهم الشك واليأس. قام رالف مانهايم بالترجمة الإنكليزية وقامت هانا أرندت بتحريرها، وقد ظهرت على أجزاء حتى عام 1994.

الأعمال الكاملة ..

أطلقت أكاديمية هايدلبرغ ("طبعة منتدى هايدلبرغ") وأكاديمية العلوم في غوتينغن مشروعًا لجمع مجموعة متنوعة من الطبعات والتعليقات والترجمات المتميزة لكتابات كارل ياسبرز في طبعة موحدة. يرأس المشروع أوتفريد هوف، ويشارك في تحريره كل من توماس فوكس، وينس هالفواسن، وراينهارد شولتز، بالتعاون مع أنطون هوغلي، وكورت سالامون، وهانز سانر. يتألف المشروع من ثلاثة أقسام رئيسية، تضم 50 مجلدًا: الأعمال (القسم الأول)، والممتلكات (القسم الثاني)، والرسائل (القسم الثالث). يغطي القسم الأول جميع الأعمال التي طُبعت ونُشرت خلال حياة ياسبرز، بينما يضم القسمان الثاني والثالث مختارات من أعماله الكثيرة المنشورة بعد وفاته، بعضها نُشر سابقًا والبعض الآخر لم يُنشر من قبل. يهدف هذا العمل بشكل عام إلى إحياء البحث في الأسس الفلسفية والمعاصرة والثقافية التي شكلت فكر ياسبرز، وتتبع تاريخ تأثيره. من المتوقع أن يستغرق العمل على هذه الطبعة في جامعتي هايدلبرغ وأولدنبورغ 18 عامًا، وهو ثمرة تعاون مع مؤسسة كارل ياسبرز في بازل. سيعتمد المحررون على الكتابات غير المنشورة المحفوظة في الأرشيف الأدبي الألماني في مارباخ، وعلى 11000 مجلد من مكتبة ياسبرز البحثية في منزل كارل ياسبرز في أولدنبورغ. إضافةً إلى الشرح نفسه، صُممت هذه الطبعة لتوفير دوافع جديدة للبحث في فكر الفيلسوف، ولتمكين النقاشات حول القضايا الثقافية والسياسية المعاصرة من الاستفادة من نمط فكري يمكن وصفه بأنه متعدد التخصصات وعالمي بأفضل معاني هذه المصطلحات. تتوفر حاليًا معظم هذه المجلدات..

خلاصة..

علم النفس بمفهوم ياسبرز علم وصفي تحليلي، وقال بسيكولوجية متفهمة ترتكز على الفهم، وأدخل الظواهرية في الطب العقلي كرد فعل ضد التيار العضوي الذي كان سائداً في ميدان الطب النفسي وعلم

النفس، ووجه علم النفس نحو تصور يغلب عليه الطابع النفسي على الطابع الفزيولوجي العصبي، وكان يقول إن الظواهر النفسية لا ينبغي دراستها وتفسيرها موضوعياً كالظواهر الفيزيائية، وإنما دراستها ينبغي أن تكون ذاتية وبطرق تؤدي إلى فهمها، بأن نستقطع من حياة المفحوص مواقف تتوفر لنا بها شرائح مستعرضة من تكوينه النفسي وخصائصه الفردية الحالية. وتعطينا وصفاً لمظهره التكويني والدينامي، يحيلنا إلى قطاعات وشرائح عائلة من طفولته النفسية، ثم بترتيب وقائعه النفسية تسلسلياً يمكن أن نستخلص دلالاتها السلوكية المرضية، ومضرب المثل لذلك بمحاولة انتحار يقوم بها المفحوص، فمن الممكن تفهم الدوافع لها في ضوء حوادث قديمة من الماضي ولدت عنده مشاعر ذنب تضغط عليه وتصيبه بالقلق والاكتئاب، فلا يجد من وسيلة للخلاص منها إلا بالانتحار أو محاولته.

والمحلل النفسي الوجودي بطريقة ياسبرز يضع نفسه مكان المريض الذي حاول الانتحار، ويتصور نفسه في ظروفه التي ألمت به، فيدرك دلالة محاولته الانتحار حدسياً، ويفهم حزنه لو كان هذا الحزن بسبب فقد حبيب أو عزيز عليه، أو لو كان الدافع إليه الغيرة على محبوب. غير أن هذه الطريقة قد تستحيل حينما يتعذر التفسير التكويني ويصعب فهم حزن أو هذيان السوداوي مثلاً، فيتعذر على المحلل أن يضع نفسه مكانه، وأن يحيط بخصوصيته في هذيانه وحزنه، وأن يدرك تسلسل الوقائع النفسية التي أدت إليه، وعندئذ لا يكون ثمة مندوحة من محاولة الوصول إلى تفسير سببي، وكأن هذا الهذيان أو الحزن من موضوعات الطبيعة التي نسعى إلى استجلاء حقيقتها بتحري أسبابها الفيزيائية الفزيولوجية والعصبية والعضوية، كما في حالات الذهان العضوي، أو حالات الذهان الوظيفي التي يتأثر بها إحساس وشعور المريض بالواقع، كما في العته مثلاً. أما الحالات التي يمكن فهم أعراضها، فهي قاصرة على الحالات النفسية التي ليس فيها أن يضرب شعور المريض وإحساسه بالواقع، كالحالات التي يدخلها الصراع النفسي والتي قوامها وقائع وجودية معينة قد تترتب عليها الإصابة بأنواع من الأعصبة، فهذه من الممكن سبر أغوارها والوصول فيها إلى حلول علاجية.

والموقف الوجودي الذي يقوم عليه علم النفس الياسبرزي أن الإنسان هو الحقيقة الأساسية التي ينبغي أن نهتم بإدراكها في العالم، ووجوده في العالم هو وجود حضور وقرب وامتلاء وحياة، وإهمال وجود الإنسان هو عدم. والعلاج النفسي الوجودي عند ياسبرز يقوم على اعتبار أن الإنسان هو إنسان بما يفعله ويتخذه من قرارات، وهو في كل ما يفعله ويفكر فيه على علاقة بشيء، وهو لا يكتفي بذاته، وليس مغلقاً عليه في

ذاته، وموجود في مواقف واقعية وعلى صلة بالعالم وبالموضوعات فيه. ووجوده هذا العيني هو وجود آني، ولكن الإنسان أيضاً له وجود ماهوي– مشروع وجود لا يعرف الزمانية ويعجز عنه الفهم لأنه يفلت دائماً ولا يتعين أبداً، فكلما ظننا أنه قد تعين بتحقيق ما كنا قد جعلناه مشروعاً لنا، فإننا ننزلق دوماً إلى مشروع ومشروعات جديدة لا تنتهي، وهذا ما يجعلنا نستشعر دائماً التوتر والقلق وعدم الرضا، ويكون بيننا وبين العالم صراع من نوع ما، ومع الصراع توجد المخاطرة، وكل مشروع ينطوي على مراهنة بالوجود الإنساني، ومقترن بالإخفاق والشعور بالذنب. ويسمي ياسبرز المواقف التي من هذا القبيل مواقف حاسمة، وهي مفروضة على الإنسان، ويريد الانفكاك منها بأن لا يوجد فيها، لأنها تسلبه وجوده وذاتيته، والعلو هو أن أخرج من سيطرتها وتكون لي هويتي، والفشل في العلو هو السقوط.

ويحدث المرض النفسي نتيجة الفشل في الخروج، ويتركز العلاج الوجودي على مساعدة المريض على الاستبصار بحالته والخروج من المواقف الحاسمة، وأن تكون له ذاتيته الفردية، ومساعدته على تحرير هذه الذاتية، وأن يدافع عنها، وأن ينفتح بذاته على العالم والناس، لأنه في العالم سيحقق إمكاناته، وبالناس يدرك ذاته اجتماعياً، ويدرك قيمته وسط الآخرين.

ويختلف التحليل النفسي عند فرويد عنه عند ياسبرز، ففرويد عن طريق منهج التداعي، يتعرف إلى الحوادث الصادمة والمشاعر والرغبات والأفكار المكبوتة عند المريض، وعند ياسبرز معرفة الماضي للمريض هي معرفة للمعالج وللمريض بواقعه قديماً، ولكن ذاته ليست هذا الماضي فقط، وهو ليس موضوعاً قد تحجر وثبت على الماضي، وكذلك فإن الماضي ليس مجموع الذات، ولو سلمنا مع فرويد بأننا الماضي فقط لحكمنا على أنفسنا بالفناء، لأننا بذلك نلغي حاضرنا ونلقي بمستقبلنا في بحر الماضي.

وكذلك فإن إدراك المفحوص لذاته بالتحليل النفسي يجعله يدرك من الذات جسمه، ويدرك أنه وجسمه شيء واحد، ولكنه مع ذلك سيميز بين نفسه وجسمه، وهو يستطيع أن يقتل هذا الجسم، وإذن هو ليس مجرد جسم، ولو أدرك ذلك جيداً ووعاه فسيفهم أن أية حادثة تلحق بهذا الجسم ليس فيها الفناء، لنفسه، وكذلك أفعالي المعلقة بجسمي، فإنها بمجرد أن تتحقق مخارج عن ذاتي وأشعر بذاتي إزاءها. وفي كل ما سبق أن الموجود الذي يقلق على نفسه باستمرار، ويشعر أنه لا يكون نفسه إلا إذا امتلك هذه النفس وتأملها باستمرار، ولو أخفقت في مراقبة نفسي فأنا المسؤول. وتقوم السيكولوجية الوجودية عند ياسبرز على أن الإنسان عليه أن يحافظ على توازنه النفسي إزاء هذه المواقف المتعارضة: أن أسلم نفسي للعالم، وأن أعلو

عليه مع ذلك، بأن أحقق ذاتي برغمه، وأن أنقذ نفسي فلا أسقط وأفقد ذاتيتي وخصوصيتي وفرديتي. وسيكولوجية ياسبرز تقوم على هذا الإدراك الشعوري للموقف الإنساني. والعلاج الوجودي هو استبصار المريض بدقائق الموقف الوجودي ومساعدته على تحقيق التوازن بين متعارضاته.

من مؤلّفاته: «المقدّمة إلى علم النفس المرضي» (1913)، «سيكولوجيّة الحدس الكوني» (1919)، «الفلسفة» (1932)، «العقل والوجود» (1935)، «الفلسفة الوجوديّة» (1938)، «مسألة إحساس الألمان بالذنب» (1946)، «فكرة الجامعة» (1946)، «كبار الفلاسفة» (1957)، «في أصل التاريخ وهدفه» (1958)»الفلسفة والعالم» (1958)، «القنبلة الذريّة ومستقبل العالم» (1958).

توفّي كارل ياسبرز ببازل في سويسرا سنة 1969 بعد أن تخلّى عن هويّته الألمانيّة، وأصبح مواطنا سويسريّا.

موسوعة الأعلام في علوم وطب النفس: من حرف "الألف" إلى حرف "السين"

إصدارات: مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2026

أ.د. عبد الرحمـــان ابراهيـــم

الاختصـاص: الطب النفسي

الشهادات العلمية:اجازة دكتور في الطب البشري.

دكتوراه فلسفة في الطب النفسي Ph.D

دكتوراه بدرجة بروفيسور في علوم الطب النفسي. (دكتور ناووك)

دبلوم في التحليل النفسي – دبلوم في المعالجة النفسية.

- الممارسات المهنية: استاذ محاضر وزائر في عدد من الجامعات العربية والأوربية، مستشار ونائب رئيس مركز الدراسات والأبحاث النفسية العربية الروسية، مستشار معهد بافلوف للأبحاث الفزيولوجية السلوكية، مستشار مناهج الطب النفسي للعديد من الجامعات والأكاديميات العربية والأجنبية، مستشار أكاديمية L.N.B.2 للعلوم النفسية، مشرف على تطبيق برامج المعالجة النفسية للعديد من المشافي والمستوصفات والمراكز الصحية، مستشار لمجموعة مشافي خاصة في ألمانيا...
- المؤلفات النفسية: فكرة وجيزة عن (1.اضطرابات الشخصية، 2. الفحص النفسي والعقلي، 3.فحص الحالة العقلية الحاضرة، 4. الاكتئاب، 5. معالجة الاكتئاب، 6. الفصامي، 7.معالجة الفصامي، 8. المعالجة النفسية، 9. أسباب الاضطرابات النفسية، 10.الآليات النفسية، 11. الأدوية النفسية، 12.الوسواس القهري، 13. القلق، 14. الاسترخاء، 15. الاضطرابات التوهمية. 16. الادمان.)،
- اضاءات حول (17. الفصام والاكتئاب.18. تطور العلوم النفسية والسلوكية. 19. دراسات سريرية. 20. علم السلوك. 21.المدارس النفسية)
- كيف نفهم (22. الطفل والمراهق. 23. الطفل من خلال رسومه. 24. الفقد.. ومرارة الحزن والأسى؟.. 25. الالم النبيل والحزن الجليل "مستوحيات من فكر الرخاوي")
- 26.المغني في الطب النفسي، 27.المغني في علم السلوك، 28. الطلاق، 29. ميليس في قفص التحليل النفسي (باللغات: العربية، الفرنسية، الانكليزية، الروسية، والألمانية)، 30. جوانب هامة من تطور شخصية الطفل، 31. الاكتئاب.. دليل الطبيب والمريض والأسرة، ،
- المؤلفات الأدبية:

– مجموعة خواطر - مجموعة قصص قصيرة – الحساب والعقاب – انها وقبل كل شيء .. كانت طفلة بريئة.

www.arabpsynet/cv-psychiatrists/AbdIbrahimBiography.pdf